مجلة الجامعة الإسلاميَّة للغة العربيَّة وآدابها

مجلة عِلميَّة دَوْريَّة مُحكمة

العدد : 15

الجزء 1

يناير - مارس 2025م

١٣٨١
١٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة عبر المنصة الإلكترونية

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي
(رئيس هيئة التحرير)
أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية

د. خليوي بن سامر العياضي
(مدير التحرير)
أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي
أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

أ.د. الزبير بن محمد أيوب
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

د. محمد بن ظافر الحازمي
أستاذ اللسانيات المشارك بالجامعة الإسلامية

د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي
أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. علي بن محمد الحمود
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان
أستاذ اللغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا

أ.د. علاء محمد رأفت السيد
أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة – مصر

أ.د. سعيد العوادي
أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض – المغرب

د. الزبير آل الشيخ مبارك
(رئيس قسم النشر)

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الخماش
أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد . تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي
أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة الإمارات العربية المتحدة

أ.د. عمر الصديق عبدالله
أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم

د. سليمان بن محمد العيدي
وكيل وزارة الإعلام سابقا

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديدا؛ لم يسبق نشره.
- أن يتسم بالأصالة والجدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلا من بحوث سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلمي الأصيل، ومنهجيته.
- أن يشتمل البحث على:

- عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
- مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربية والإنجليزية.
- كلمات مفتاحية لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربية والإنجليزية.
- مقدمة.
- صلب البحث.
- خاتمة تتضمن النتائج والتوصيات.
- ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
- رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقيا) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نشر بحثه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيا أو إلكترونيا، ويحق لها إدراجه في قواعد البيانات المحلية والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة – في أي وعاء من أوعية النشر – إلا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	**التبادل الوظيفي فيما وصف بالمبهم من المعارف دراسة تطبيقية في القرآن الكريم** د. عيدة بنت حمدان بن عبدالله الحربي	٩
٢)	**رسالة متعلقة بالنحو (إعراب لغة واصطلاحا) لعبد الباقي بن طورسون زاده المتوفى ١٠١٥هـ -دراسة وتحقيق** د. مهدي بن حسين بن على ذيب مباركي	٨١
٣)	**البلاغة في تفسير سورة الإخلاص من كتاب ينابيع العلوم للقاضي أبي العباس أحمد الخويي دراسة استقرائية تحليلية** د. شيخه بنت محمد الجعيدي	١٣٩
٤)	**حسن التخلص في الشعر العربي القديم مقاربة تداولية** د. عادل بن علي الغامدي	٢٠١
٥)	**الإطار الإدراكي للمقام في ترجمة ابن الأنباري لعنترة بن شداد -دراسة إدراكية تطبيقية** د. محمد بن مشيب بن محمد الشهراني	٢٥٣
٦)	**الخطاب النقدي للعسكري في ديوان المعاني** د. فهد بن مناحي السيحاني	٢٩٩

م	البحث	الصفحة
(٧)	**تشكلات الخير التاريخي عند التنوخي في كتابه الفرج بعد الشدة دراسة بنيوية** د. فاطمة سليمان المرواني	٣٥٧
(٨)	**أثر ازدواج الراوي في وصف المدينة المنورة في رحلة ابن جبير الأندلسي** د. ياسر بن غازي الطيب	٤٢١
(٩)	**القصدية في نماذج مختارة من خطب الشيخ السديس** د. الشيماء بنت محمد الفرهود	٤٨٣
(١٠)	**قراءة عرفانية في قصيدة (موقف.. الرمال موقف الجناس للشاعر محمد الثبيتي** د. ذيب بن مقعد العتيبي	٥٤٣
(١١)	**الموازنة بين القصيدة مكتوبة ومنشدة بصوت شاعرها دراسة تطبيقية على شعراء مسابقة المعلقة ٤٥** د. وليد بن خالد الحازمي	٥٨٧
(١٢)	**فاعلية برنامج قائم على أسلوب الالتفات لتنمية مهارات الفهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها** د. عادل على غانم السناني	٦٤٣

أثر ازدواج الراوي في وصف المدينة المنورة في رحلة ابن جبير الأندلسي

The Significant Impact of the Duality of the Novelist on the Portrayal of Al-Madīnah Al-Munawwarah in the Journey of Ibn Jubair Al-Andalusī

د. ياسر بن غازي الطيب

أستاذ مساعد بقسم الأدب والبلاغة بكلية اللغة العربية والدراسات الإنسانية بالجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني: Yasirgaltayeb@iu.edu.sa

DOI:10.36046/2356-000-015-008

الملخص:

تناول هذا البحث أثر ازدواج الراوي في وصف المكان في أدب الرحلة، متتبعا إياه في أنموذج رائد في هذا الباب وهو رحلة ابن جبير الكناني، منتخبا المدينة المنورة من بين أماكنها لمكانتها العالمية قديما وحديثا، ولوضوح أثر ذلك الازدواج في وصفها. يتنازع أدب الرحلة البعد التاريخي الذي يتناول الأحداث عبر الزمن، والبعد الرحلي الذي يتناول المكان حسب الرؤية الفردية، ويؤديان –عند ضمهما– إلى تكوين صورة مركبة عن المكان، وقد وصل البحث إلى نتائج تبين تكامل تلك الأبعاد في رسم خطاب واضح يمثل المدينة المنورة وابن جبير، وذلك عبر تحليل منطلقات الراويين: المبئر والشخصية، ومدى التداخل بينهما في وضع أنموذج وصف المدينة المنورة، ومدى تفاعلهما مع الخطابات الأخرى تأثرا وتأثيرا.

الكلمات المفتاحية: ابن جبير، الراوي المبئر، الراوي الشخصية، أدب الرحلات، المدينة المنورة.

Abstract:

This study investigated the impact of utilizing dual Novelists in travel literature on the depiction of a place, focusing on the journey of Ibn Jubair as a pioneering case study. Al-Madīnah Al-Munawwarah was specifically selected due to its historical and contemporary significance, highlighting the profound influence of this dual perspective on its portrayal. Travel literature often juxtaposes the historical context, which chronicles events over time, with the travel dimension, which captures the essence of a place through individual experiences, resulting in a multifaceted representation of the location. The findings of the research demonstrate the harmonious integration of these dimensions in presenting a comprehensive narrative that encapsulates both Al-Madīnah Al-Munawwarah and Ibn Jubair. Through an analysis of the distinct viewpoints of the two narrators - the central focus and the character - and their collaborative efforts in constructing a descriptive framework for Medina, as well as their interactions with other narratives in terms of impact and reception.

Keywords: Ibn Jubair, the well-known narrator, the personal narrator, travel literature, Al-Madīnah Al-Munawwarah.

مقدمة

يعد أدب الرحلات أدبا أصيلا في التراث العربي، اشتغل به المغاربة والأندلسيون، فتعددت رحلاتهم العلمية والدينية والسياحية، ودونت هذه الرحلات بتعبيرية جمالية، مستندة على الواقعية والعجائبية، مراوحة بين التقرير والسرد، متشابكة مع السيرة والمذكرات، وهي ذات أهمية في دراسات الآثار والإنسان بما يجعلها مصادر تسهم في تكوين الصورة التاريخية عن البلدان والأماكن، خاصة عند المتلقي الأندلسي الذي يحاول تصور المشرق العربي.

اختار البحث الرحالة الأندلسي والأديب المعروف ابن جبير، ورحلته التي لاقت صدى أدبيا وقيمة علمية تاريخية، واختار المدينة المنورة في خطاب رحلته لأنها مدينة تمثل قاعدة حضارية، وعاصمة إسلامية، ومرجعية روحية. وقد كتب الرحالة عن تجربتهم في رحلة العمرة والحج ومناطق الحجاز بعد سنوات من ابن جبير، غير أن تجربة الأندلسيين على وجه التحديد لا تطالع المدينة المنورة بروحانية عالية فحسب، بل بغيرية متشوفة إلى المشرق، ومرجعيات سردية حالمة، فأصبح المكان الشرقي موضع توق وشوق، وظلت الرحلة وصفا من أوصاف المكان لا المكان عينه، وهو ما جعل الأمل في الرحلة إليها مطلبا يعززه الواجب الديني في الحج والعمرة، وزيارة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم. يتحول الماثل في الخيال الأندلسي عن المدينة المنورة إلى حقيقة عند أداء الرحلة، ويطابق فيها الرحالة ما بين الحدث التاريخي والواقع الشخصي، وهنا تتحول الكتابة إلى رؤية ينسجها التاريخ، وتنغمس في مفارقات الذات والموضوع.

كانت رحلة ابن جبير موضع دراسات عديدة وأثارت اهتمام الدارسين وقد وجد البحث عددا وافرا من الدراسات حول ابن جبير، وبخاصة رحلته، لكني لم أجد فيما وقفت عليه من قواعد بيانات المكتبات والمراكز البحثية دارسة حول ازدواج راوي ابن جبير في وصفه للمدينة المنورة، وجل ما وقفت عليه ذكر للأماكن

في رحلته ومنها المدينة المنورة، لكنها تناولات تاريخية واقتصادية وأنثروبولجية، وقد وقعت على بحث بعنوان: السرد الرحلي وصورة الراوي – دراسة في رحلة ابن جبير، لعلي عبدالنبي فرحان، مجلة فكر وإبداع، رابطة الأدب الحديث، ج:١٢٨، يونيو ٢٠١٩م. وهدف منها إلى الوقوف على البنية السردية في الرحلة وخصائصها وأثر تحولات الرحلة في الراوي، وهي دراسة عامة عن الرحلة وبنيتها السردية، من غير تطرق إلى ازدواج الراوي، فضلا عن تخصيص البحث بمكان محدد تظهر فيه ازدواجية الراوي وهو المدينة المنورة.

تجدر الإشارة إلى أن المؤرخين والجغرافيين وغيرهم عدوا مقولات ابن جبير حول الأماكن التي زارها شهادة علمية، لذا فهي رحلة جديرة بالقراءة قراءة توازي ما ناله من إعجاب، وهذا ما سيقوم به البحث حين يقارب الرحلة من خلال الخطابين اللذين ارتكز عليهما وهما التاريخ والأدب. كان حديث ابن جبير عن المدينة مقتضبا وموجزا، جعل الدارسين يمرون عليه لماما، وحديثه على وجازته يحمل في طياته أبعادا تستحق التوقف، والبحث لا يحاكم ما كتبه ابن جبير، ولكنه يحرر أبعاده من خلال النص نفسه، ومن نصوص ابن جبير الأخرى، والنصوص التاريخية والرحلية الأندلسية، التي أدت دورها في خلق التصورات الخاصة بابن جبير، وبمن جاء بعده.

هذه العلاقة بين التقرير التاريخي والسرد الذاتي، هي علاقة بين الموضوع والذات، ولذا لن يسلم المكان أو الأشخاص من تصورات تمزج بين هذين الأمرين، وسيعالج البحث هذه المسألة من المنظور الذي وضعه د. سعيد يقطين حين جعل راوي الرحلة في موقف المزاوجة بين راويين: الراوي المبئر، والراوي الشخصية، وقد وقع وصف المدينة المنورة بأماكنها وساكنيها ضمن هذه التصورات، ستجيب هذه المعالجة عن أسئلة حول واقعية الصورة التاريخية عن المدينة المنورة وأثر الذات في تمثيلها وعلاقات الراويين ومرجعياتهما وأثرهما في الخطابات بعدهما.

يمكن تقديم إجابات عن ذلك عبر دراسة منطلقات الراويين، وأسلوب كتابتهما، وتكاملهما في رسم خطاب محدد لرحلة ابن جبير للمدينة المنورة، وذلك من خلال تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الراوي المزدوج: المبئر والشخصية.

المبحث الثاني: الازدواج في خلق الأنموذج الوصفي.

المبحث الثالث: تفاعل الراوي المزدوج مع الخطابات الأخرى.

ثم الخاتمة وأهم النتائج.

تمهيد

يدخل خطاب الرحلة ضمن إشكالات التجنيس الأدبي، إذ يلتبس بأشكال أخرى مثل المذكرات، والسيرة الذاتية، والرواية، وتختلف الرحلة عن غيرها بجعلها "السفر إطارا قصصيا أو موضوعيا للتأمل"[١] كما امتازت بأنها وصف أولا ثم سرد، لارتباطها بالمكان. و"السرد والوصف صيغتان من صيغ الخطاب السردي وبينهما تفاعل وجدل، فهما يتناوبان في مجرى الحكي"[٢] علاوة على ذلك فإنه "لا عجب أن نجد الصيغتين معا في الخطاب تقدمان من خلال ذات واحدة هي ذات الراوي"[٣]. وتلتبس الرحلة بخطاب التاريخ، الذي يعد إخبارا عن أحداث وقعت في الزمن الماضي، حيث تقدم المعارف الحضارية والسياسية والاجتماعية ضمن إطار موضوعي. ويقوم خطاب الرحلة بدور إثنوغرافي وإن اختلف عنه؛ "إذا قلنا إن أدب الرحلات يصور أساسا خبرة اتصال الرحلة بثقافة معينة أو عدة ثقافات، فإن الإثنوغرافيا تهدف أولا إلى وصف وتحليل الثقافة أو الثقافات ذاتها"[٤]. تعد الرحلة فعلا يتحول إلى خطاب وهذا الخطاب يطابق فعل الرحلة في تسلسلها الزمني الواقعي، ويحضر فيها صوت المتكلم ورؤيته للعالم والأحداث. ويلتقيان في أنهما استرجاع لأحداث واقعية في

(١) محمد القاضي وآخرون، "معجم السرديات". (ط ١، تونس: دار محمد علي للنشر، ٢٠١٠م)، ٣٤٠.

(٢) سعيد يقطين، "السرد العربي مفاهيم وتجليات". (ط ١، القاهرة: مؤسسة رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م)، ١٩٥.

(٣) المرجع السابق. ١٩٥.

(٤) حسين محمد فهيم، "أدب الرحلات". (الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٩م)، ٦٣.

مكان وزمن معين، هدفهما نقل صورة عما وقع في الماضي. وموضوع الخطاب التاريخي: تشكل الأحداث بعامل الزمن، وأما الرحلي: تشكل المكان عبر الرؤى الذاتية، ويكون أحدهما أقل شأنا حين يرتفع حضور الآخر.

يختلف خطاب الرحلة عن غيره في أنه قائم على مجاراة زمن الفعل الذي يمر به الرحال من بداية الرحلة إلى نهايتها، ولذا أرجع سعيد يقطين جوهرية خطاب الرحلة إلى أمرين: بناء الخطاب، وعلاقة المتكلم بالخطاب(١).

فبنية الخطاب قائمة على مزامنة فعل الرحلة عبر الراوي، إذ يعد "من خصائص هذا الجنس التطابق بين المؤلف والراوي والشخصية المركزية، وانبناء النص على مراوحة متسمرة بين السرد والوصف"(٢)، ولذا ينخرط الواصف/الراوي في علاقتين داخل هذا الخطاب، فهو مبئر كما أنه في الحين ذاته شخصية، لكن الراوي المبئر يقوم بدور النقل لمشاهداته للعالم من حوله فيصبح العالم (موضوعا)، غير أن الراوي الشخصية يشترك بالفعل فيتحول الموضوع إلى (الذات)، قال يقطين: "المتكلم في خطاب الرحلة يتمفصل إلى مبئر وشخصية وراو... نعيد الآن تركيبها بتقسيمها إلى قسمين رئيسين وذلك بربط كل من المبئر والشخصية بالراوي لأنه هو الذي بواسطته نتبين التمايز والتجلي على النحو الآتي: ١- الراوي: المبئر، ٢- الراوي: الشخصية"(٣).

وضع يقطين هذا التقسيم بين الراويين مبئر وشخصية، يتجاذبان، فيعلو صوت الأول أمام الآخر، والآخر أمام الأول، ويتقدم أحدهما في مواضع ثم يتنحى للآخر. وتعد هذه المزاوجة خصيصة لخطاب الرحلة؛ إذ بحضور هذين الراويين يمكن تفهم

(١) ينظر: يقطين، "السرد العربي مفاهيم وتجليات". ٢٠٧.
(٢) القاضي وآخرون، "معجم السرديات". ٣٤٠.
(٣) يقطين، "السرد العربي مفاهيم وتجليات". ٢١٤.

الرحلة على أنها خطاب أدبي محدد. فالراوي المبئر يرصد الفضاء الموضوعي على مسافة منه، أما الراوي الشخصية فإنه ينفعل بالفضاء، ويعبر عن الأول بالغائب والآخر بالمتكلم(١). وبهذا الازدواج تتكامل المدونة، ويكمل النسقان بعضهما.

توصف المدينة المنورة بوصفها موضوع الرحلة من جهتين: الأولى: ذات البعد التاريخي وفيها تكون المدينة المنورة مأرز الإيمان، ونواة الإسلام، ومنطلق الدعوة والفتوحات، ومهاجر النبي صلى الله عليه وسلم، والنصرة، وبيت الخلافة، يجعلها ذلك منطقة ذات بعد تاريخي مقدس في نفوس المسلمين، ومنها يتجلى الراوي المبئر، والأخرى: تخضع للتجربة الفردية، وهذه التجربة تأتي في إطار خارج الإطار التاريخي المقصور على زمن ما، فهي تخرج من الزمن التاريخي وتنبسط في زمن التجربة مما يؤدي إلى وقوع علاقة قد تكون تفسيرية أو شارحة أو تحليلة أو متناقضة في أحيان أخرى، وهو الدور الذي يؤديه الراوي الشخصية. من هذين الموقعين تنطلق رحلة ابن جبير، الراوي بين المبئر والشخصية، والمدينة المنورة بين التاريخي والأدبي.

ألف الرحلة محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، ولد ببلنسية عام ٥٤٠هـ، وكان أديبا رحالة، فقد رحل إلى المشرق ثلاث رحلات، حج فيها جميعها، وقد دون رحلة واحدة من رحلاته أصبحت هي المشهورة فيما بعد وعرف بها وهي الرحلة الأولى وسماها: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، وقد رحل من غرناطة يوم الخميس الثامن من شوال سنة ٥٧٨هـ، بسبب رغبته في أداء الحج، ثم عاد يوم الخميس الثاني والعشرين من المحرم سنة ٥٨١هـ، ثم قام بالرحلتين الثانيتين، وقد توفي ابن جبير سنة ٦١٤هـ في الإسكندرية(٢).

(١) ينظر: يقطين، "السرد العربي مفاهيم وتجليات"، ٢١٤.

(٢) ينظر: لسان الدين بن الخطيب، "الإحاطة في أخبار غرناطة". تحقيق: محمد عبدالله عنان، =

أما كتابه فهو عبارة عن تدوين مشاهداته في رحلته وقد مر بأماكن عديدة، وكان "يعنى في وصف المدن بثلاث نواح: المرافق، والمشاهد، والأرباض"[١]. واستغرقت رحلته عامين وثلاثة أشهر ونصف جاب فيها الأندلس والمغرب وركب البحر الأبيض المتوسط، وزار مصر في أربعة أشهر، ومكث في الجزيرة العربية ما يقارب عشرة أشهر، ثم مر على العراق والشام ثم صقلية ثم عاد إلى بلده. وقد طار ذكرها في الآفاق لما لها من قيمة، حتى قال فيها لسان الدين ابن الخطيب: "ورحلته نسيجة وحدها، طارت كل مطار، رحمه الله... صنف الرحلة المشهورة، وذكر مناقله فيها وما شاهده من عجائب البلدان، وغرائب المشاهد، وبدائع الصنائع، وهو كتاب مؤنس ممتع، مثير سواكن النفوس إلى الرفادة على تلك المعالم المكرمة والمشاهد العظيمة"[٢]. يبتدئ كتاب ابن جبير بعبارة (تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار) التي ستصبح عنوانا للكتاب فيما بعد، وإن نازعها في ذلك عنوان آخر هو (رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك) التي ثبت أنها رسالة أخرى ليست هي نفس رحلة ابن جبير[٣]، لقد نسبت هذه الرحلة إلى ابن جبير، فذاعت بين الناس باسم رحلة ابن

=

(ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٤م)، ٢: ٢٣٠؛ و أحمد بن المقري التلمساني، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب". تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م)، ٢: ٣٨١.

(١) حسين نصار، "رحلة ابن جبير". (المغرب: دار الرشاد الحديثة، سلسلة تراث الإنسانية، د.ت)، ١: ٢٤٤.

(٢) ابن الخطيب، "الإحاطة في أخبار غرناطة"، ٢: ٢٣١.

(٣) ينظر: محمد بن أحمد بن جبير، "رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك"، تحقيق: رشيد العفاقي، (ط١، الرباط: مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، ٢٠١٤م)، ١١.

جبير، وأثيرت حولها أقوال تشابه ما قيل عن رحلة ابن بطوطة ورحلة الغرناطي، إذ أنهما لم يكتبا الرحلة، وإنما تكلف بعنائها سواهما، أورد عبدالملك المراكشي خبر تدوين الرحلة وعزاه إلى أبي الحسن الشاري: "إنها ليست من تصنيفه وإنما قيد معاني ما تضمنته، فتولى ترتيبها ونضدها بعض الآخذين عنه بناء على ما تلقاه منه"(١)، لقد دون ابن جبير رحلته على مرحلتين: مرحلة كتابة المذكرات اليومية، وكان شديد الحرص على ذلك، حتى يحفظ أبعاد الرحلة ويكون دقيقا في وصفها ونقلها، ويفهم من قول الشاري أن التدوين الأول كان لابن جبير، بطريقة متفرقة، وقد أعانه آخرون على جمعها، وهو ما جعل المكناسي يفرق بين كونها مذكرات وبين كونها تأليفا، إذ لم يقصد ابن جبير التأليف قدر قصده أن تكون تقييدا ليومياته، ولذا قال: "إنما قيد هو حاصلها من ذكر المراحل والانتقالات وأحوال البلاد لنفسه تقييدا لم يقصد به التأليف فرتبه بعض من أخذ عنه وأتقنه مؤسسا"(٢)، فهدف ابن جبير هو تقييد رحلته والاستلذاذ باسترجاعها، خاصة أن ابن جبير لم يدون رحلاته التي تلتها. ثم المرحلة الثانية للتدوين حين نظمت في خطاب الرحلة ثم ذاعت واشتهرت بما يجعلها عملا مؤكدا قد وافق عليه ابن جبير وهو ما عبر عنه الشاري بقوله: "بناء على ما تلقاه منه" أي أن لابن جبير يد واضحة في ذلك.

(١) محمد بن محمد المراكشي، " الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة". تحقيق: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف (ط١، تونس: دار الغرب الإسلامي، ٢٠١٢م) ٣: ٥٠٥.

(٢) أحمد ابن القاضي المكناسي، "جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام في مدينة فاس"، (الرباط: دار المنصور للنشر والتوزيع، ١٩٧٣م)، ٢٨٠.

المبحث الأول: الراوي المزدوج: المبئر والشخصية

يقوم النص الرحلي على البعد السردي، التسلسل والتتابع، ويشتمل على راو ومروي ومروي له، غير أنه خطاب يختلف عن خطابات السرد الأخرى بما ميزه به د. سعيد يقطين حين جعل المزية المكانية لخطاب الرحلة هي ما تجعله خطابا وصفيا على نقيض الخطاب السردي الذي يعتمد السرد لا الوصف، إذ تشتغل الرحلة بوصف المكان الآن تجسيدا، بينما السرد هو سرد الزمان هناك بالأمس تخييلا(١)، يعد هذا التفريق مهما على عدة مستويات، فالوصف باعتباره وصفا يشكل لبنة رئيسة فيه، ذلك أن "السرد في الرحلة مؤطر للوصف مبرر له، فهو الذي يعرض حركة الذات المرتحلة في المكان ومشاهداتها، والمشاهدة حافز الوصف"(٢)، وعليه تتنوع أبنية خطاب الرحلة بين وصف الطبيعة، ومظاهر الحضارة والإنسان، والتي لا يتوقف الوصف فيها عند تتبع أدق ملاحظات الرحالة عنها، بل إن ثمة آليات أخرى يقدم من خلالها الأنموذج الوصفي فتحضر المفارقة والمقارنة والمناظرة إلى غير ذلك، وهي تهدف إلى المفاضلة بين الأقاليم الإسلامية باعتبارات الدين والأخلاق(٣)، لأن المكان وعاء للمكونات الأخرى إذ لو تغير المكان لما وجدت الطبيعة الخاصة به ولا الإنسان الخاص به. تظهر قيمة هذا حين يقطع خط الزمن خط المكان، فلو قلنا إن المكان له ماض وحاضر، سيكون الحاضر كتابة رحلة، بينما يصبح الماضي سرد تاريخ، حتى يصل إلى اللحظة الآنية.

ينتج الراوي التخييل ويصف من مشاهداته غير المألوف مدفوعا بالمغامرة

(١) ينظر: يقطين، "السرد العربي مفاهيم وتجليات"، ١٩٥.
(٢) القاضي وآخرون، "معجم السرديات"، ٣٤١.
(٣) ينظر: فهيم، "أدب الرحلات"، ١٧٩.

والغريب والنادر في إطار تجربة فردية تروم تسلية القارئ وإدهاشه[١]، فمهدت للجمع "بين دوري الراوي والمبئر، بل يمكن له أن يروي وأن يكون مبئرا يتضمن تبئيره وجهة نظر مبئر ثان هو الشخصية"[٢] وهو هنا ابن جبير الذي يتحدث بضمير المتكلم عن منظوره ثم يتوقف ليسرد تجربته، فكك يقطين هذا التعدد إلى وضع تحديد للمبئر والشخصية والراوي، فالمبئر: "يرى العالم، ويرصده من منظوره الخاص"، والشخصية: "تعيش تجربة جديدة بانتقالها في الزمان والمكان"، والراوي " يقدم لنا رؤيته وحياته بلغة خاصة"[٣]، وبمزجها كما مر نصل إلى الراوي المبئر والراوي الشخصية[٤]، ورغم تعددها فإنها ترجع إلى ذات مركزية. والرحالة يقوم بالفعل ثم ينقله كما وقع له وفسره؛ ليقدم لمتلقيه معرفة بأدلة ملموسة لا مجال فيها للكذب والاختلاق فهو الحقيقة لا ما يشبهها[٥].

يظهر المروي له في رحلة ابن جبير أندلسيا يتوق إلى تخيل الشرق، فالراوي الذي يروي الرحلة لا ينفك عن تقدير دور المروي له فيما سيقرأ من أخبار ابن جبير وملاحظاته. وهو ما يجعله أعمق وصفا في الأماكن البعيدة عن بلاد الأندلس والمغرب فالأماكن الأندلسية موجزة: "وكانت مرحلتنا الأولى منها إلى حصن القبذاق، ثم منه إلى حصن قبرة، ثم منه إلى مدينة استجة، ثم منها إلى حصن أشونة، ثم منه إلى شلبر،

(١) ينظر: لطيف زيتوني، "السيميولوجيا وأدب الرحلات"، مجلة عالم الفكر ٣، (١٩٩٦م)، ٢٥٦؛ والقاضي وآخرون، "معجم السرديات"، ٣٤٠.

(٢) القاضي وآخرون، "معجم السرديات"، ٣٧٠.

(٣) يقطين، "السرد العربي مفاهيم وتجليات"، ٢١٣.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ٢١٤.

(٥) ينظر: زيتوني، "السيميولوجيا وأدب الرحلات"، ٢٥٥؛ ويقطين، "السرد العربي مفاهيم وتجليات"، ٢١٥.

ثم منه إلى حصن أركش، ثم منه إلى قرية تعرف بقرية النشمة من قرى ابن السليم ..."[1] وهو ذكر مقتضب للأماكن التي مر بها ابن جبير، فهي تخدم طريق المكان المقصد، يظهر الاهتمام بالمكان في وقته الآني بالنسبة لابن جبير مع وصوله الإسكندرية: "فأول ذلك حسن وضع البلد واتساع مبانيه، حتى إنا ما شاهدنا بلدا أوسع مسالك منه ولا أعلى مبنى ولا أعتق ولا أحفل منه، وأسواقه في نهاية من الاحتفال أيضا. ومن العجب في وصفه أن بناءه تحت الأرض كبنائها فوقها وأعتق وأمتن، لأن الماء من النيل يخترق جميع ديارها وأزقتها تحت الأرض فتتصل الآبار بعضها ببعض ويمد بعضها بعضا"[2] تطول هذه الوقفة وتفصل جميع مشاهداته في الإسكندرية، وهو ما ينطبق على جميع المدن التي سيمر عليها بعد ذلك، لقد رسخت تلك الرحلة نفسها لدى المغاربة والأندلسيين لأنها تنطلق من تصوراتهم واهتمامهم نحو الوجهة التي يتشوقون إليها، ولذا تأكد حضورها عند المغاربة والأندلسين مثل العبدري والبلوي وابن بطوطة.

يشتمل نص رحلة ابن جبير على أنموذجين يطردان في خطابه، فيأتي الأنموذج الأول استرجاعيا للماضي (ماضي المكان)، والأنموذج الآخر وصفيا آنيا (حاضر المكان)، ويحضر هذا بوضوح في الأماكن ذات البعد الديني والتاريخي.

الأنموذج الاسترجاعي والآني:

افتتحت الرحلة بعبارة: (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار) يقول العنوان إنها تذكرة، أي من قبيل الاسترجاع والاستذكار، وهي تستذكر أخبارا وقعت سالفا وستقع الآن، ضمن عقد السفر الذي يجعله خطابا في الرحلة، ولكنه مع ذلك تذكرة،

(١) محمد بن أحمد بن جبير، "رحلة ابن جبير"، (بيروت: دار الكتاب اللبناني)، ٤٢.
(٢) المرجع السابق، ٤٥.

فهي قائمة على الاسترجاع للماضي الذي كان آنيا زمن كتابته، غير أن الراوي الذي سيقوم بهذه العملية –تحويل الرحلة إلى خطاب– هو راو يزاوج بين حالتين:

حال التاريخ: وفيها يقوم الراوي على فعل، لكنه فعل مقصور على سرد الماضي، يبتعد تدريجيا من نقطة الآن (وهي زمن تدوين الرحلة)، ويقترب من المكتوب السابق عن المكان، المكتوب التاريخي، وتتحول تبعا له اللغة التي تقبل المجاز والاستعارة إلى لغة علمية، يجب فيها مطابقة اللفظي للفعلي وهو الرحلة، مما يجعل الأسلوب ضمنا أسلوب رواة ومؤرخين.

حال الرحلة: إذ يعتمد الراوي على فعل الانتقال، وهو الفعل الذي يقوم به زمن تدوين رحلته، لكنه يبتعد عن الثقة المفرطة في سرد الماضي، ويعتمد الاحتمالية فهو يسجل الآن، وبما أنه آني، وفي الوقت ذاته سيصبح تاريخا فإنه لا يستغني عن مكونات الآن التي يتحكم فيها الذات، وعن مكونات الموضوع التي يتحكم فيها التاريخ، ولذا يراوح في احتماليته بين العلمي والأدبي، إذ لا يجب هنا التطابق اللفظي والفعلي لما سيورده الراوي، مما يبيح له استعمال الصنعة الفنية أثناء تدوين مشاهدات ذلك الانتقال. معنى ذلك أن كلا الراويين يحضر في خطاب الرحلة ضمن صياغة موحدة أوجدها المؤلف، ويحاول كل منهما سحب الآخر إلى مجاله. ويمكن تصور ذلك من خلال الآتي:

المدينة المنورة (الموضوع)← فعل (سرد الماضي) ← فعل (الانتقال) ← التحول إلى خطاب أدبي.

تحضر المدينة في هذا الأنموذج بوصفها استرجاعا لمدون تاريخي سابق، وفي هذا السياق يضطلع الأنموذج بمهمة المرجعية التاريخية التي ترتكز على وصف المكان في نموه التاريخي، أي أن المكان بؤرة الحكي، وأبعاده موضوعية مستندة على المرويات والأخبار، وقد حرص من يكتب في هذا الباب على التفرقة بين ما يشاهده وما

يرويه[١]، فمكة المكرمة بوصفها فضاء يقدم من منظور خاص: "هي بلدة قد وضعها الله عز وجل بين جبال محدقة بها، وهي بطن واد مقدس كبير، مستطيلة، تسع من الخلائق ما لا يحصيه إلا الله عز وجل. ولها ثلاثة أبواب"[٢] ويستمر في وصف أبوابها وأبعادها وبنيانها وبركتها ومشاهدها كما وردت في المدونات السابقة عليه، مع ذلك يختفي صوت هذا الراوي حينا فيعلو صوت الراوي المشارك في الأحداث والمشاهد، وهنا يتحول الكلام من وجود الذات في الفضاء إلى الحديث عنها: "ومن أغرب ما ألفيناه فاستمتعنا بأكله، وأجرينا الحديث باستطابته -ولا سيما لكوننا لم نعهده- الرطب، وهو عندهم بمنزلة التين الأخضر في شجره يجنى ويؤكل، وهو في نهاية من الطيب واللذاذة، لا يسأم التفكه به، وإبانه عندهم عظيم، يخرج الناس إليه كخروجهم إلى الضيعة، أو كخروج أهل المغرب لقراهم أيام نضج التين والعنب، ثم بعد ذلك، عند تناهي نضجه يبسط على الأرض قدر ما يجف قليلا، ثم يركم بعضه على بعض في السلاسل والظروف ويرفع"[٣] هذا الأنموذج آني لزمن كتابة ابن جبير تجربته مع طعام مكة، ومع الرطب تحديدا إذ يتعذر الانتقال به من مكان إلى آخر فلا يمكن المحافظة عليه حتى ينتقل إلى الأندلس، مما يعني علاقة وطيدة بالمكان الذي هو فيه وهو هنا مكة المكرمة، وهو يمثل روح قائله، فلو كان غير ابن جبير لتغيرت الفكرة نحو الطعام بما يناسب القائل الجديد، إذ إن التوقف عن حدود الوصف يلغي وجودها، لكنها تستثمر التجربة في أن تصبح ممثلة عن المتكلم الجماعة (ألفيناه، استمتعنا، أجرينا، لكوننا، أهل المغرب) التي تصبح مقابل الغائب الجماعة (عندهم، يخرج الناس

(١) ينظر: فهيم، "أدب الرحلات"، ١٢.
(٢) ابن جبير، "رحلة ابن جبير"، ٩٠.
(٣) المرجع السابق، ٩٨.

إليه) وهكذا يصبح المكان موطن تناظر بين أهل المغرب وأهل مكة، في صورة من صور عديدة تشمل الطعام واللباس والسكن وغير ذلك.

خلق هذان الأنموذجان في أسلوب معاينة المكان مساحة حركة الراوي، فبدلا من أن يقود الراوي المكان ويخلق تصوراته عنه، أصبح المكان قائده، ويسمو بتاريخه الماضي والحاضر على الراوي ويدخله في التماهي فيستجيب له حين يجد نفسه مزدوجا بين كونه مبئرا وكونه شخصية عاشت تجربة هذا المكان، وكلاهما تجربتان تختلف نتائجهما، ومن هنا وقع هذا الانفصال بينهما. يندرج هذان الأنموذجان ضمن أنموذج خطاب الرحلة، وهو أنموذج –كما سلف– يقوم على الفعل والخطاب، وهذا ما أدى إلى أداء أدوار مزدوجة بين الراوي والمبئر، يقول سعيد يقطين: "بتوازي الفعل والخطاب في الرحلة نكون أمام ذات مركزية تتحرك في فضاءات متعددة. فهي مركز والعالم حولها، أو هي تدور حوله. وهذه الذات نفسها تقوم بدور مزدوج: فهي من جهة بؤرة الحكي، فهي التي ترى العالم الفضاء الذي تتحرك فيه، أي أن الفضاء يقدم إلينا من خلال منظورها الخاص. وهي من جهة ثانية الذات التي تتكلم عنه"(١).

قد يبدو هذا الازدواج تجزئة لمتكلم واحد، وهو ليس كما يبدو، فالراويان متكاملان ضمن هذا الخطاب، وسأذكر هنا حديث ابن جبير عن المسجد النبوي، وعن الروضة الشريفة، وبقيع الغرقد، ومعالم المدينة الأخرى، ووصفه إياها وصفا خارجيا دون أن يكون لشخصية الراوي حضور فيها، إلى أن يقول: "فهذا ذكر ما تمكن على الاستعجال من آثار المدينة المكرمة، ومشاهدها على جهة الاقتضاب والاختصار، والله ولي التوفيق"(٢) لا تعتبر هذه العبارة خاتمة حديثه عن المدينة المنورة،

(١) يقطين، "السرد العربي مفاهيم وتجليات"، ٢١٢.

(٢) ابن جبير، "رحلة ابن جبير"، ١٤٦.

فهي في الواقع تنح للموضوع/المكان، في مقابل بروز الذات/التجربة الشخصية، إذ يبدأ بعدها بالتشويق للمروي له: "ومن عجيب ما شهدناه من الأمور البديعة...إلخ"[١] ويحكي قصة الخاتون بنت الأمير مسعود، ثم يحكي قصة أخرى شهدها عن الخطيب في المسجد النبوي، وكلها قصص عن المدينة شهدها ابن جبير، وكان طرفا فيها، وهي تبتعد عن المكان إذ تحفظ له حقه، وتتمركز على الناس في المكان لا المكان في ذاته، وهذه الطريقة عند ابن جبير أكدت هذا الأسلوب ضمن خطاب الرحلة الأندلسية، مما يجعلها خطا تعبيريا لا يكتمل الخطاب إلا به، فنجدها في أنموذج آخر مهم وهو رحلة ابن بطوطة، حينما يذكر معلومات مثل الخطباء وخدام المسجد والمجاورين ثم يذكر ما وقع له فيها على وجه التحديد، على شكل حكاية وقعت له بعد أن يستوفي معلومات عنهم[٢]. وكأنه انفصال تام بين الراويين لكنهما سوية يكونان بؤرة الحكي التي يدونها الراوي.

(١) المرجع السابق، ١٤٦.

(٢) ينظر: محمد بن عبدالله ابن بطوطة، "رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". تحقيق: محمد عبدالمنعم العريان، (ط١، بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٨٧م) ١٣٤.

يخلص من ذلك إلى أن هذا الأنموذج يراوح بين متضادات، جاءت على النحو الآتي:

مبئر (الموضوع)	X	**شخصية (الذات)**
مرجعية واحدة (جمود الزمن)	X	تعدد المرجعية (الديناميكية)
الأثر التاريخي(الروحي)	X	الأثر الاجتماعي
الموضوعية	X	التحيز
الخبر والمرويات والسند	X	المشاهدة

وسيتتبع البحث هذا التداخل في الأنموذج الوصفي الذي وضعه المؤلف في وصف المدينة المنورة في المبحث الآتي.

المبحث الثاني: الازدواج في خلق الأنموذج الوصفي

يتكون الخطاب السردي من سرد ووصف، والسرد يعبر عن فعل الزمان، بينما يعبر الوصف عن فعل المكان، والرحلة سرد يتعلق بالمكان، وبوصفه، ولأنه كذلك قال يقطين: "أما الرحلة، فيمكن الذهاب الآن إلى أنها خطاب وصفي، لأنها تضع في الاعتبار البعد المكاني في زمن معين"(١). وتعني الحالة الوصفية للمكان إعطاء وصف معين له، لكن هذا الوصف لا يعني بالضرورة تطابقه عند جميع الواصفين، إذ يحضر البعد الذاتي، والتجربة الشخصية في تحديد صفات الموصوف وهي حالة لا تعني الإجبار على قبول الموصوف، لكنها تقرر أنموذجا كان عليه الموصوف، وهو ما يجعل الواصف محل النظر –قبل وأثناء وبعد– عند وضع أنموذجه الوصفي.

يقوم كل من المبئر والشخصية بوضع أنموذجه الوصفي للمكان في الرحلة، لكنهما بالمجمل يقدمان أنموذجا وصفيا واحدا يمكن اعتباره رؤية المؤلف: ابن جبير، ولأن الرحلة تقوم على الوصف أولا فإن ثمة وظائف للوصف حضرت في رحلة ابن جبير وهي ما تعبر عن المبئر، أو الشخصية، لأن كلا منهما يؤدي دورا مهما حسب وظيفته، فالوظيفة حسب العمامي حكائية أو دلالية(٢)، وقد جاء المبئر ليصف بوظيفة حكائية تعليمية أو إخبارية وهي تتعلق "بخاصيات الموصوف وما يتفرع منها"(٣)، أما الشخصية فوصفت بوظيفة دلالية أيديولوجية أو قيمية حيث توجد مجموعة من القيم خارج النص وهذه الوظيفة "قد تكون أقل خفاء فيتفطن إليها بمجرد

(١) يقطين، "السرد العربي مفاهيم وتجليات"، ١٩٦.

(٢) للاستزادة ينظر: محمد نجيب العمامي، "الوصف في النص السردي بين النظرية والإجراء". (ط ١، تونس: دار محمد علي، ٢٠١٠م)، ١٨٥.

(٣) المرجع السابق نفسه.

تركيز النظر على الخاصيات"[١]. وقد لحظت دراسات رحلة ابن جبير تعدد هذه الوظيفة لديه وعبرت عنه بالدخول إلى زمن القصة والخروج منها: "الوصف – في علاقته بالسرد – من الناحية الزمنية في رحلة ابن جبير على صورتين: وصف خارج عن زمن القصة، ووصف يقع في زمن القصة"[٢].

سبب الرحلة: يعتبر ذكر سبب الرحلة وأهدافها مما يذكر عادة، فهي تحدد جنس العمل المكتوب وتحقق مقصد الرحلة في أداء الفريضة: "وكان انفصال أحمد بن حسان ومحمد بن جبير من غرناطة... أول ساعة من يوم الخميس الثامن لشوال"[٣] هذا ما ينبئ به نص الرحلة، إذ يظهر التدرج فيه حتى يصل إلى البقاع المقدسة، ثم يؤوب بعد ذلك، فجميع العلامات المكانية المذكورة في خط الرحلة تدل على ذلك، قبل وقوع الزيارة للحرمين وبعدها. يتحرك ابن جبير من مفهوم الزهد في الدنيا، فذلك ما وضحه ابن الأبار: "وعني بالآداب فبلغ منها الغاية وتقدم في صياغة القريض وصناعة الكتاب ونال بها دنيا عريضة ثم رفضها وزهد فيها وتحرك لنيته الحجازية"[٤] وهي رحلته الأولى ثم ارتحل مرتين بعدها قبل أن يتوفى في المشرق بالإسكندرية، وقد منح ابن الأبار رحلة ابن جبير ملمحا جديدا إذ ركز فيها على الجانب العلمي ولقائه ببعض العلماء والسماع منهم وطلب إجازتهم. فهي رحلة دينية لكنها في الوقت ذاته توثق الصلات العلمية بين ابن جبير وغيره من العلماء.

(١) المرجع السابق، ٢٠٤.

(٢) شفيق محمد الرقب، "الوصف في رحلة ابن جبير: دراسة تحليلية في ضوء تقنيات فليب هامون". مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية ٣، (٢٠٢٤م): ٤٢٢.

(٣) ابن جبير، "رحلة ابن جبير"، ٤١.

(٤) محمد بن عبدالله ابن الأبار، "التكملة لكتاب الصلة"، تحقيق: عبدالسلام الهراس، (لبنان: دار الفكر للطباعة، ١٩٩٥م) ٢ : ١١٠.

يوصف المكان الذي يمر به ابن جبير من راو مزدوج، فهو يبدأ (بالمبئر) فيذكر أهم معالمه (غير الدينية) ثم المشاهد والأضرحة، والسلطان، وهو يصفها موضوعيا بما يشبه مدون الوقائع والأماكن، ثم يتنحى ليحضر (الشخصية) التي شاركت وهنا يظهر طريقة الكسب والاتجار، ومعاناة الحجيج، والخدمات المقدمة للمغاربة، وتعامل السلطان مع الحجيج، وفي أحيان تنازع الشخصية المبئر عند الحديث عن الأضرحة والسلطان، فتجذبه إليها، وكذلك يقع العكس عند الحديث عن الخدمات المقدمة للمغاربة. هذه العناصر الرئيسة التي قامت عليها رحلة ابن جبير في وصف المكان بصورة عامة، انطبقت على وصف المدينة، وتستظهر في حديثه عن المدينة على النحو الآتي:

١ المبئر:

١-١ أهم المعالم النبوية: يبتدئ الراوي بذكر أهم معالم المدن التي زارها، وهي بالنسبة إليه أهم تعريف للمدينة، وأهم معالمها هي أهم ما يميزها مما يجيب عن الأسئلة المتوقعة عنها، وقد توقف ابن جبير عند ذكر المعالم الآتية:

- مسجد النبي صلى الله عليه وسلم: يصف في هذا المعلم شكله وأبعاده: "المسجد المبارك مستطيل، وتحفه من جهاته الأربع بلاطات مستديرة به، ووسطه كل صحن مفروش بالرمل والحصى"[١] ولا يستطرد كثيرا في تتابع تفاصيله.
- الروضة الشريفة: يتوقف السرد مدة عند وصف الروضة، فتوصف أبعادها وشكلها، وموقعها، ويستطرد في تتبع جهاتها وموقع قبر النبي ورفيقيه منها، في رصد دقيق للقياس بذكر عدد الأشبار والعلامات التي تجعلها واضحة وتنقل صورة شاملة عنها، والتي تحكي قصصا وحالات من قبيل تضميخ

(١) ابن جبير، "رحلة ابن جبير"، ١٤٠.

المسك وما يدل على الاعتناء بها عناية تعبر عن قداستها في نفس ابن جبير[١].

- المنبر الكريم: يحكي مادة المنبر وطوله وهيئته وكرسيه وموضع يد الخطيب منه مع إضفاء هالة من التبجيل عليه[٢].
- قباء: ولا يخرج هنا عن وصف أبعاده، طوله وعرضه وعدد أبوابه، وموقعه من المدينة، ويحده من جهاته، فيتطرق إلى أماكن ذات بعد مهم وهي دار أبي أيوب الأنصاري، وبئر أريس، وتل عرفات، وهي كلها ذات علاقة بقباء[٣].
- الخندق: موقع الخندق وحدوده وما يليه من أماكن مثل حصن العزاب، وبئر رومة[٤].
- العين الزرقاء: شكل منبعها، وحوضها، وما يحيط به ويحده من أماكن مثل قبة الزيت[٥].

١-٢ المشاهد والأضرحة: يميل الحديث هنا إلى التأثير على المروي له، وتعد القبور والأضرحة والمشاهد عناصر رئيسة في المدن التي زارها ابن جبير، فيفصل الحديث عنها ويتتبع تفاصيلها، ويوليها اهتماما يوازي اهتمامه بمعالم المدينة الأخرى، من ذلك ما ذكره في المدينة:

- قبر النبي وصاحبيه: يصف موضع القبر وما حوله[٦].

(١) ينظر: المرجع السابق، ١٤١.
(٢) ينظر: المرجع السابق نفسه.
(٣) ينظر: المرجع السابق، ١٤٥.
(٤) ينظر: المرجع السابق، ١٤٦.
(٥) ينظر: ابن جبير، "رحلة ابن جبير"، ١٤٦.
(٦) ينظر: المرجع السابق، ١٤١.

- قبر حمزة في أحد: يصف موقعه وموضعه وتبرك الناس بتربته، والمسجد المقام عليه[١].
- مشاهد بقيع الغرقد: يصف مواقعها، وأشكالها، وارتفاعها عن الأرض: مشهد صفية، وقبر أنس بن مالك، وإبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم، وقبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعقيل بن أبي طالب، وعبدالله الطيار، وأزواج النبي، ثم العباس بن عبدالمطلب، والحسن بن علي[٢].

وصفت هذه الأماكن بكثير من التعظيم والإجلال، وقد يصب اهتمامه على معلم واحد، فيأخذه الاستطراد إلى المعالم الأخرى المحيطة به، وهو ما يجعله يقدم المدينة بمعالمها إذ لا تخلو منطقة من معلم يتوقف أمامه لاسترجاع زمن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، وهي معالم متوقفة عند ذلك التاريخ؛ أي: المدينة فيما كانت عليه، ولذا لم يذكر الأماكن أو الآثار التي لا تتعلق بعهد النبي صلى الله عليه وسلم.

٢ الشخصية:

٢-١ الشيوخ والمرويات والأقوال: تتدخل الذات هنا في عرض التصورات عن المكان الذي هي فيه، ففي المدينة تظهر مرويات عن أحوال المدينة وتاريخها، ويتخذ ابن جبير منها موقفا يعلل من خلاله بعض الممارسات والاعتقادات، فيعلل شكل الروضة الذي صمم تصميما خاصا منحرفا عن القبلة بالآتي: "أخبرنا الشيخ الإمام الورع، بقية العلماء، وعمدة الفقهاء، أبو إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم التونسي، أن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه اخترع ذلك في تدبير بنائها مخافة أن يتخذها الناس

(١) ينظر: المرجع السابق، ١٤٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ١٤٤.

مصلى"[١]، وكثير مثل هذه وهي تبدي استعدادا من الشخصية للتدخل في تفسير ما تراه ولكنها تعتمد على الغير في سوق تلك الأقاويل عن المكان، اعتمادا يوحي بأهمية النظر، فتأتي بصيغة يقال: "يقال إنه كان مهبط جبريل، عليه السلام" بعد أن قال: "وفي الصفحة التي بين الركن الجوفي والركن الغربي موضع عليه ستر مسبل"[٢]، ويكرر هذا في المواضع التي يجهل لها سببا: "وعلى رأس المحراب الذي في جدار القبة داخل المقصورة حجر مربع أصفر قدر شبر في شبر ظاهر البريق والبصيص، يقال: إنه كان مرآة كسرى، والله أعلم بذلك"[٣]، "ويلي هذه القبة العباسية بيت ينسب لفاطمة ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويعرف ببيت الحزن، يقال: إنه الذي آوت إليه والتزمت فيه الحزن على موت أبيها المصطفى صلى الله عليه وسلم"[٤]، يحيل ابن جبير إلى هذه المقولات حتى لا يضع المبئر الذي يضطلع بالدور الموضوعي في موقف التشكيك من صحة ما يقول، ولكنه يتخذ طريقة تفرز الحقائق الثابتة والمنقولات التي لا يجزم بها، فالأولى تصف تاريخ المكان، أما الثانية فإنها تتكلم عن الحدث في المكان، ومن هنا يبدأ الفصل بين الراويين، الأول يتحدث عن أحوال محكمة، والثاني عن وجهات نظر مختلفة، قد تصيب وقد تخطئ، ثم يتحول ما حدث في المكان (سابقا) إلى ما يحدث في المكان (الآن)، في زمن كتابة ابن جبير لمذكراته، وهنا تظهر وجهة نظر جديدة تتعلق بابن جبير ورفاق رحلته.

٢-٢ المكان: قد يظهر المكان عند المبئر بأنه ذو بعد واحد، يعتمد على

(١) المرجع السابق، ١٥٠.
(٢) المرجع السابق نفسه.
(٣) المرجع السابق، ١٥٢.
(٤) ابن جبير، "رحلة ابن جبير"، ١٥٤.

الوصف بالاستناد إلى التاريخ، ولا يستظهر علاقات المكان بالبشر، وهو ما يحاول ابن جبير تفاديه في رحلته أثناء مروره ببعض الأماكن، كما لو أنه سينقل صورة جديدة عنه، ومن هنا تظهر أبعاد جديدة للمكان صاغتها رحلة ابن جبير، وعلاقة المكان بساكنيه هي من ستحدد الأبعاد الجديدة له من خلال المطابقة، وقد جاءت عند ابن جبير كالآتي:

١- حسن المكان وحسن ساكنيه: يقوم الراوي هنا بفعل المطابقة؛ بين ما يروى عن المدن وما جربه، فيصل إلى أن المدينة حسنة، وأن أهلها مطابقون لحسنها، وقد وقع هذا في عدة مدن إذ يشير إلى المدينة ثم إلى أهلها، كما فعل مع الإسكندرية، والموصل وحمص وكذلك تكريت التي يقول فيها: "هي مدينة كبيرة، واسعة الأرجاء، فسيحة الساحة، حفيلة الأسواق، كثيرة المساجد، غاصة بالخلق، أهلها أحسن أخلاقا وقسطا في الموازين من أهل بغداد"[١] أو عن الموصل: "هذه المدينة عتيقة ضخمة، حصينة فخمة، قد طالت صحبتها للزمن، فأخذت أهبة الاستعداد لحوادث الفتن" ثم يصف قلعتها ومعالمها الكبرى ثم يقول عن أهلها: "وأهل هذه البلدة على طريقة حسنة، يستعملون أعمال البر، فلا تلقى منهم إلا ذا وجه طلق وكلمة لينة، ولهم كرامة للغرباء وإقبال عليهم، وعندهم اعتدال في جميع معاملاتهم"[٢].

٢- حسن المكان، وسوء ساكنيه: يجد الراوي هنا تناقضا بين تاريخية المكان وأخلاق ساكنيه، إذ ينزع الراوي من قيمة المكان مقابل معاملة أهلها، ومن هذه المدن الكوفة، فقد ذكر ما كانت عليه من عظمة وأبهة: "هي

(١) المرجع السابق، ١٦٦.

(٢) المرجع السابق، ١٦٩.

مدينة كبيرة عتيقة البناء، قد استولى الخراب على أكثرها، فالغامر منها أكثر من العامر، ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها، فهي لا تزال تضر بها"[١].

٣- سوء المكان وحسن ساكنيه: وهنا يجد الراوي أن المكان في وضعه التاريخي أكبر من وضعه الواقعي، وأن أهل الكان هم من يستحقون الذكر أكثر من المكان نفسه، وهذا ما وجده في مدن مثل منبج وحران التي يقول عنها: "بلد لا حسن لديه، ولا ظل يتوسط برديه، قد اشتق من اسمه هواؤه، فلا يألف البرد ماؤه، ولا تزال تتقد بلفح الهجير ساحاته وأرجاؤه، لا تجد فيه مقيلا ولا تتنفس منه إلا نفسا ثقيلا" وحال أهله يختلف عن حاله فيستدرك:" استغفر الله! كفى بهذا البلد شرفا وفضلا أنها البلدة العتيقة المنسوبة لأبينا إبراهيم" وهو ما يجعل أهلها يستجيبون لذلك الشكل من الحسن والأخلاق فيقول عنهم: "وأهل هذه البلاد ... على هذه السبيل من حب الغرباء وإكرام الفقراء وأهل قراها كذلك، فما يحتاج الفقراء الصعاليك معهم زادا، لهم في ذلك مقاصد في الكرم مأثورة، وشأن أهل هذه الجهات في هذا السبيل عجيب، والله ينفع بما هم عليه"[٢].

٤- سوء المكان وسوء ساكنيه: يجد الراوي بعض البلدان التي اجتمع فيها سوء المكان وسوء أهله في مخالفة أو موافقة للمذكور التاريخي فتكون عكا مثالا لذلك لتسلط الكفر عليها، وكذلك عيذاب وبغداد، يقول عن بغداد: "هذه المدينة العتيقة، وإن لم تزل حضرة الخلافة العباسية، ومثابة الدعوة الإمامية

(١) المرجع السابق، ١٥٣.

(٢) ابن جبير، "رحلة ابن جبير"، ١٧٤.

القرشية الهاشمية قد ذهب أكثر رسمها ولم يبق منها إلا شهير اسمها. وهي بالإضافة إلى ما كانت عليه قبل انحاء الحوادث عليها، والتفات أعين النوائب إليها، كالطلل الدارس والأثر الطامس، أو تمثال الخيال الشاخص. فلا حسن فيها يستوقف البصر، ويستدعي من المستوفز الغفلة ونظر" ويقول عن أهلها: "وأما أهلها فلا تكاد تلقى منهم إلا من يتصنع بالتواضع رياء، ويذهب بنفسه عجبا وكبرياء، يزدرون الغرباء، ويظهرون لمن دونهم الأنفة والإباء، ويستصغرون عمن سواهم الأحاديث والأنباء. قد تصور كل منهم في معتقده وخلده أن الوجود كله يصغر بالإضافة لبلده، فهم لا يستكرمون من معمور البسيطة مثوى غير مثواهم، كأنهم لا يعتقدون أن لله بلادا أو عبادا سواهم، يسحبون أذيالهم أشرا وبطرا"(١).

أما المدينة المنورة فيظهر فحوى ما أورده عنها من حكايات وأوصاف أنها مدينة ذات بعد ديني واضح، فهي مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، المدينة العظيمة الشريفة، التي اكتسبت ذلك من مقدم النبي صلى الله عليه وسلم عليها، فلا تاريخ لها قبل ذلك، أما تاريخها بعده فعنه وعما جاء به صلى الله عليه وسلم، فالأماكن والآثار والأشخاص والقبور هي المنطقة التي يتعرف بها الراوي على المدينة، أي إن العلاقة بالمدينة هي علاقة بما تشتمل عليه من أحداث وقعت، فهي صورة المدينة في الماضي وإن دونها الراوي في الحاضر. والمدينة في مدونات الرحالة مقيدة بالمشاهد لشخصية الذاتية، التي لا تتطابق أحيانا مع تاريخ المكان المقدس؛ مثل: بعض المظاهر الدينية وأداء الصلوات وأثر المذاهب، أو الاقتصادية مثل الرفاهة والإسراف والأعاجم(٢).

(١) المرجع السابق، ١٥٧.

(٢) ينظر: بنان محمد صلاح الدين، "أدب الرحلات من خلال مظاهر من الحياة الاجتماعية في =

يشارك راوي رحلة ابن جبير في الأحداث فيدونها في حاضره هو منقطعة عن ماضيها. وهنا يذكر الراوي عدة مواقف لأشخاص في المدينة لا يفرق فيها بين زوار المدينة وأهلها ويكون مجموع ما يفعله هؤلاء الأشخاص هو مجموع الصورة التي يكونها عن الأشخاص الذين قابلهم في المدينة، والتي تعد مجتمعا يحوي طوائف من البشر يشكلون مجتمع المدينة المنورة، كما أشار إلى ذلك في حديثه عن المجتمع المكي، وقد جاء الأشخاص عنده على النحو الآتي:

أ– زوار المدينة:

- الزوار التقليديون:

يأتي ذكر زوار المدينة المنورة في عدة صور وحالات فهم مشتغلون دوما في ترتيب رحالهم: "وكان من الاتفاق السعيد لنا أن وجدنا بعض فسحة في تلك الحال لاشتغال الناس بإقامة مضاربهم، وترتيب رحالهم"[(١)]، كما أنهم يتسابقون لفعل الخيرات: "وفي هذه الروضة يتزاحم الناس للصلاة، وحق لهم ذلك"[(٢)] "وقطعة منه في وسط العمود ظاهرة يقبلها الناس، ويبادرون للتبرك بلمسها ومسح خدودهم فيها"[(٣)] وعن مقعد النبي في منبره: "فيدخل الناس أيديهم إليه، ويتمسحون به تبركا بلمس ذلك المقعد الكريم"[(٤)]، "وحول الشهداء تربة حمراء هي التربة التي تنسب إلى حمزة،

=

المدينة المنورة ١٦٦١ – ١٧١٠م". مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ١، (٢٠١٩م): ٨.

(١) ابن جبير، "رحلة ابن جبير"، ١٤٠.

(٢) المرجع السابق، ١٤٢.

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) المرجع السابق نفسه، ١٤٢.

ويتبرك الناس بها"[١].

- الزوار من الأمراء والملوك:

خاتون بنت الأمير مسعود: هذه إحدى الزائرات للمدينة المنورة، ولها قصة في حضورها عند الراوي فهو يستصحبها من مواقع متقدمة من رحلته فقبل وصوله المدينة رآها في مكة المكرمة، ثم رآها في المدينة ثم رآها بعد ذلك في الموصل، وهي ابنة ملك الدروب والأرمن وما يلي بلاد الروم، ففي ذكره الأول لها يذكر وصولها إلى مكة المكرمة في ظروف غامضة تفضي إلى التشكيك فيها لكنها مع ذلك أهل للخير وخدمة الحجيج وهي لا تسير إلا في حشد من الجنود يحميها ويضمن لها الراحة والرفاهية[٢]، ثم يراها بعد ذلك في الموصل، ولا يخفي ريبته منها وهو يراها تدخل الموصل في جمع عسكري كبير، وفي مظاهر مترفة من الحرير والحلي والذهب على الدواب والمرافقين والخدم ويكرر بأنها مع ذلك عابدة تفعل الخير[٣]، يكون ذكرها في المدينة مختلفا قليلا عما ذكره عنها في المدينتين وبخاصة عند إشراكهم في موقف معها فيبتدئ بقوله: "ومن عجيب ما شاهدناه من الأمور البديعة، الداخلة مدخل السمعة والشهرة أن إحدى الخواتين المذكورات وهي بنت الأمير مسعود..."[٤] وتظهر هنا الأميرة أيضا في أبهة وجند، يحمونها ويقمعون الناس أن يصلوا إليها وهي تقوم بأعمال العبادة والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه والناس يرون ذلك منها، حتى انتهت وأقعدت في موضع من الروضة الشريفة فاسدل الستار عليها

(١) المرجع السابق، ١٤٤.
(٢) ينظر: المرجع السابق، ١٣٦.
(٣) ينظر: المرجع السابق، ١٦٩.
(٤) المرجع السابق، ١٤٦.

وبدأت بالصدقة على الناس[١]، في ظل ذلك الوضع يحضر رئيس الشافعية وهو العلامة صدر الدين ليعقد مجلس وعظ في تلك الليلة.

رئيس الشافعية صدر الدين: كان المجلس الوعظي يعقد لصدر الدين في الوقت الذي رآه فيه ابن جبير، وصدر الدين عالم ورث مكانته وعلمه، يتداخل صدر الدين مع قصة خاتون بنت مسعود، وكلاهما يندرجان تحت مداخل السمعة والشهرة، يكون التقاطع بين هذين الشخصيتين حين يحضر صدر الدين وهي جالسة على حالها، فيجلس في كرسيه ثم يخطب في الناس خطبة ملئت وعظا وبيانا، فتأثر السامعون حتى ذهلوا، ثم حدث ما لم يتوقعه ابن جبير: "يلقون نواصيهم بين يديه فيستدعي جلمين ويجزها ناصية ناصية، ويكسو عمامته المجزوز الناصية، فيوضع عليه للحين عمامة أخرى من أحد قرائه أو جلسائه"[٢]، وفعل ذلك في كثير منهم، ثم ختم مجلسه بطلب سألهم أن لا يخذلوه فيه، وهو أن يكشفوا رؤوسهم ويبسطوا أيديهم للنبي الكريم ليرضى عنه، فوافقوه على ذلك، فعدد ذنوبه، وتطايرت العمائم وبسطت الأيدي، مما أصاب ابن جبير بالدهشة: "فما رأيت ليلة أكثر دموعا، ولا أعظم خشوعا من تلك الليلة"[٣].

يظهر مدخل السمعة والشهرة بين الخاتون ورئيس الشافعية في أنهما يمتلكان تأثيرا خاصا على حاضري المسجد النبوي، فيقول عن الخاتون: "فعاينا من أمرها في الشهرة الملوكية عجبا"[٤]، وعن صدر الدين: "وأمر صدر الدين عجيب في قعدده

(١) ينظر: المرجع السابق نفسه.
(٢) ابن جبير، "رحلة ابن جبير"، ١٤٧.
(٣) المرجع السابق نفسه.
(٤) المرجع السابق نفسه.

وأبهته وملوكيته وفخامة آلته وبهاء حالته، وظاهر مكنته، ووفور عدته، وكثرة عبيده وخدمه واحتفال حاشيته وغاشيته"[١]، يظهر الراوي تعجبه من هذه المواقف وهو لا ينكر الأشخاص قدر ما يتعجب مما يحيط بهم من أبهة، تثير هذه الأبهة في نفس الراوي مسألة السمعة والرياء وهو ما فسر به تلك التصرفات على هذا النحو، فالمقصود من هذا كله هو مناقلة ما يقدمه هؤلاء في حق المسجد النبوي، وحق النبي صلى الله عليه وسلم أثناء زيارتهم للمدينة المنورة.

ب- سكان المدينة وهم على أنواع:

١-سدنة المسجد المبارك: يقطن هؤلاء بالقرب من المسجد النبوي في موقع مخصص لهم، يقومون بمهام رعاية المسجد النبوي وحراسته: "وسدنته فتيان أحابيش وصقالب، ظراف الهيئات، نظاف الملابس والشارات"[٢].

٢-خطيب المسجد النبوي: يحكي الراوي عن أمور استوقفته ومنها خطيب الجمعة: "وفي يوم الجمعة المذكور، وهو السابع من محرم، شاهدنا من أمور البدعة أمرا ينادي له الإسلام: يالله للمسلمين! وذلك أن الخطيب وصل للخطبة، فصعد منبر النبي صلى الله عليه وسلم"[٣]، يذكر الراوي الزمان والمكان بدقة حتى يؤكد على معاينته التي سيدلي بها، والتي ستصبح شهادة، فيقول: "فلما أذن المؤذنون قام هذا الخطيب المذكور للخطبة، وقد تقدمته الرايتان السوداوان، وقد ركزتا بجانبي المنبر الكريم فقام بينهما"؛ تشير الرايتان التي يتلكم عنهما الراوي إلى بعد سياسي معين يوجه هذا الموقف، مما يجعله

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ابن جبير، "رحلة ابن جبير"، ١٤٨.

موضع انتقاد: "فلما فرغ من خطبته الأولى جلس جلسة خالف فيها جلسة الخطاب المضروب بها المثل في السرعة، وابتدر الجمع مردة من الخدمة يخترقون الصفوف، ويتخطون الرقاب، كدية على الأعاجم والحاضرين لهذا الخطيب القليل التوفيق"(١)، سيتحول موقف الخطيب هنا وفق شهادة الراوي إلى موقف كدية واستجداء والحاضرون يستجيبون لذلك، والخطيب في أثناء ذلك كله يحثهم على الاستزادة حتى كاد أن ينقضي الوقت وتفوت الصلاة ولم يكد يكمل: "فاجتمع له من ذلك السحت المؤلف كوم عظيم أمامه، فلما أرضاه قام وأكمل الخطبة وصلى بالناس، وانصرف أهل التحصيل باكين على الدين، يائسين من فلاح الدنيا، متحققين أشراط الآخرة"(٢).

٣-الحاضرون للمسجد النبوي: يظهر للراوي أن حاضري المسجد النبوي يسهل التأثير عليهم وذلك في عدة مواقف مختلفة، موقف الخاتون بنت مسعود وهم يتدافعون إليها، ثم موقفهم مع صدر الدين الشافعي، وخطيب الجمعة في المسجد النبوي، ففي الحالتين يظهر الحضور الانقياد، فمع صدر الدين: "يلقون نواصيهم بين يديه" "فأطار الناس عمائمهم"، ومع خطيب المسجد النبوي: "منهم من يطرح الثوب النفيس، ومنهم من يخرج الشقة الغالية من الحرير فيعطيها – وقد أعدها لذلك – ومنهم من يخلع عمامته فينبذها ... ومنهم من يدفع القراضة من الذهب، ومنهم من يمد يده بالدينار والدينارين، ومن النساء من تطرح خلخالها، وتخرج خاتمها فتلقيه"(٣)، يقترن المشهد

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) ابن جبير، "رحلة ابن جبير"، ١٤٨.

(٣) المرجع السابق نفسه.

الأول بالبكاء بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم بحثا عن التكفير والتوبة، والمشهد الثاني بدفع الأموال بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم من أجل حضور خطبة الجمعة بحثا عن الثواب والمغفرة، يجعل الراوي من الموقفين مجالا لفهم طبيعة الحياة في المسجد النبوي أثناء الأيام القليلة التي قضاها في المدينة المنورة، فيضجر مما رآه من السمعة والبدعة من أشخاص يملكون تأثيرا قويا على الحاضرين ويقودونهم لتحقيق رغبات خاصة.

يختلف موقف المبئر من موقف الشخصية التي تستعرض الأماكن والأشخاص، ذلك أن "ما يقدم إلينا يتم من خلال منظور الذات أو وجه نظرها، وهذا المنظور يتغير بتغير الصوت السردي. فمع الراوي: المبئر نحن أمام (رؤية برانية) (موضوعية)، ومع الراوي: الشخصية نكون أمام (رؤية جوانية) (ذاتية)"[1]، وعلى ضوء ما سبق فإنه يمكن تحديد منطلقات كل منهما في فهم المكان وتأويل ما يقع فيه من أفعال وأقوال على النحو الآتي:

مبئر	←	معالم المكان وأبعاده التاريخية	←	التعظيم	←	المعلومة المباشرة
↓		↓		↓		↓
المفارقة						
↑		↑		↑		↑
شخصية	←	الأشخاص وتنوع أدوارهم	←	التصغير	←	السرد

يظهر فيما سبق أن المبئر والشخصية حددا أبعاد المكان وساكنيه، وافترقا في: ما الذي يوصف في المكان، وبماذا يوصف، وكيف يوصف، والعلاقة بينها ليست

(١) يقطين، "السرد العربي مفاهيم وتجليات"، ٢١٧.

منفصلة كما يبدو، فقد التقيا في علاقة المفارقة بين جميع هذه العناصر، بين المكان والإنسان ففي هذه المنطقة بالتحديد يستبدل الراوي الثاني بالراوي الأول، وهو ما يبرر وجود عبارات تظهر انتقالا واضحا من البعد التاريخي إلى بعد يبحث عن مفارقات، فهي عنصر التحول ما بين الماضي والحاضر، والموضوعية والتحيز، والمروي والمشاهد، ويظهر وصف المكان من خلال هذه العناصر المتضادة: "ومن عجيب ما شاهدناه"، "شاهدنا من أمور البدعة أمرا ينادي له الإسلام"، ويوصف المكان بألفاظ التعظيم والإدهاش: "وشكلها شكل عجيب لا يكاد يتأتى تصويره ولا تمثيله" "فمنظرها منظر رائق بديع الشكل"[١]، وهنا تدخل المفارقة إذ يأتي الأشخاص في هذا المكان بما لا يضارع المكان، من بحث عن السمعة ونشر للبدعة على يد الخاتون والشيخ صدر الدين وخطيب الجمعة، ومن جهل وحماقة ظهرت من الحاضرين ومن المتبركين بالأماكن والمواضع.

(١) ابن جبير، "رحلة ابن جبير"، ١٤٠، ١٤١، ١٤٦، ١٤٨.

المبحث الثالث: تفاعل الراوي المزدوج مع الخطابات الأخرى

يتفاعل خطاب الرحلة مع مجموعة من الخطابات "فالرحلة ليست منفتحة على الروايات الشفوية وحدها، وإنما هي منفتحة أيضا على النصوص السابقة من أجناس مختلفة"(١)، والمتحكم بالتفاعل هو الراوي المزدوج الذي يسعى إلى الموازنة بين النصوص السابقة، ونصوصه التي ترسخ مبدأ الرحلة: "الحلول بالمكان نفسه لا يترتب عليه وصف مكرر أو إحساس مماثل"(٢)، وقد نشأت علاقة بين الخطابين ضمن نظام المفارقة الذي بني عليه أنموذج المدينة المنورة، وكان الأسلوب المتبع في جميع الرحلة هو ذكر معالم المكان عن طريق الإخبار الموضوعي، ثم تدخل الذات عند الحديث عن أهل المكان بحكي قصة أو سرد مثال وذلك في حالين: تأكيد ما سبق ذكره عن المكان، أو إنكار ما سبق ذكره عن المكان، أو ذكر ما يقع من مفارقات بين ما سبق ذكره وما سيلحق ذكره.

أولا: إفادة راويي ابن جبير من الخطاب التاريخي والرحلي عن المدينة المنورة:

المصادر التاريخية والأدبية:

يعنى الراوي المبئر ببيان ما وقع من تغيير على سرديات المدينة المنورة، وتكمن مهمته في تحديث ما وصل إليه المسجد النبوي منذ عرضه السابقون، وعليه فقد حرص الراوي على عناصر محددة أكثر من غيرها بناء على ما ذكره من كتب عن المدينة وهي على الآتي:

أ- المسجد النبوي (مادة بنائه، مساحته، أبوابه، الروضة الشريفة، المحراب والمنبر، قبر النبي صلى الله عليه وسلم).

(١) القاضي وآخرون، "معجم السرديات"، ٣٤١.

(٢) المرجع السابق نفسه.

ب– قباء (موقعه، مادة بنائه، مساحته، محرابه).

يركز الراوي هنا على هذه العناصر التي تم عرضها في مصادر تاريخية وأدبية متقدمة، فهو يصف شكل المسجد النبوي وطوله ومساحته، وما يحيطه من الجهات الأربعة من بلاط، ويذكر عددها، ثم يبين أن في وسطه صحنا فرش بالرمل والحصى، وعدد سواريه والمادة التي صنعت منها، وجدار القبلة والمواد التي بني بها، وعدد أبوابه وأسمائه وعدد مناراته، وحجمها وهيئتها، ويذكر موقع الروضة الشريفة من موقع القبلة، ومساحتها، وعدد أعمدتها، والمواد التي بنيت بها، وزخارفها، ثم يذكر الصندوق قبالة رأس النبي وطوله وارتفاعه والمادة التي صنع منها، وإزار الرخام المحيط بالروضة والأستار وشكلها، والقناديل ومادتها الفضة والذهب، ثم المنبر وطوله وعرضه وارتفاعه، وموقعه، والمادة التي صنع منها.

إن المهمة التي يقوم بها الراوي وهو يصف هذه العناصر في المسجد النبوي وصفا دقيقا تعود إلى ما اعتاد عليه المؤرخون وهم يدونون معلومات المسجد النبوي في مصادرهم، فقد ذكر ابن سعد ت٢٣٠هـ عدد أبواب المسجد، ومادة جداره وأعمدته وسقفه[١]، وأشار ابن قتيبة ت٢٧٦هـ إلى مادة بنائه وسقفه وعمده، والتوسعات التي تمت عليه[٢]، وذكر البلاذري ت٢٧٩هـ المادة التي بنى بها النبي صلى الله عليه وسلم مسجده وأساساته وسقفه وأعمدته، ثم ما فعله من جاء بعد النبي من تحديث في المسجد فيجد عثمان قد غير مادة أعمدته ومادة سقفه، ثم قام عمر بن عبدالعزيز

(١) ينظر: محمد بن سعد الزهري، "الطبقات الكبرى"، تحقيق: علي محمد عمر، (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م)، ١: ٢٠٦.

(٢) ينظر: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، "المعارف"، تحقيق: ثروت عكاشة، (ط٢، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م)،٥٦٢.

بتوسعة المسجد وإعادة بنائه بمواد مختلفة[١]، وتحدث ابن رسته ت٣٠٠هـ عن المسجد النبوي فأشار إلى توسعة المهدي للمسجد النبوي فذكر جدرانه وطاقاته موادهما، وعدد أبوابه، وسواريه ومساحته ومنبر النبي صلى الله عليه وسلم وموقعه وعرضه وارتفاعه، وجدار القبلة ومواده[٢]، وذكر الطبري ت٣١٠هـ المواد التي حملت إلى المسجد النبوي وجدد بها[٣]، ويأتي ابن عبدربه ت٣٢٨هـ فيتحدث عما يحيط المسجد من بلاط، وما فرش به، وعدد أبوابه، ومناراته وأشكالها، وأعمدته وما ركب عليها، وموادها، وزخرفاتها، وجدار القبلة، ومادة الرخام التي كون منها، والإزار المنسدل من فوقه، والمواد التي صنع منها والزخرفات المنفوشة عليه، وموقع المحراب ومواده، والمنبر وموقعه ومادته وقبر النبي وموقعه ومساحته[٤]، وفعل المقدسي ت٣٥٥هـ الأمر ذاته فأشار إلى مواد بناء المسجد الأولى، وسيرة النبي في بنائه، والتوسعات التي تمت عليه، والمواد المستعملة فيها[٥] وكذلك ابن الجوزي ت٥٩٧هـ اهتم بذكر التوسعات والمواد التي استعملت فيها[٦].

(١) ينظر: أحمد بن يحيى البلاذري، "فتوح البلدان"، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٨م)، ١: ١٧.

(٢) ينظر: أحمد بن عمر ابن رسته، "الأعلاق النفيسة"، (ليدن: بريل، ١٨٩١م) ٧: ٧٥.

(٣) ينظر: محمد بن جرير الطبري، "تاريخ الرسل والملوك"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧م) ٦: ٤٣٦.

(٤) ينظر: أحمد بن محمد ابن عبدربه، "العقد الفريد"، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ) ٨: ٢٨٨.

(٥) ينظر: المطهر بن طاهر المقدسي، "البدء والتاريخ"، (شالون: مطبعة برطرند، ١٩٢٧م)، ٤: ٨٦.

(٦) ينظر: عبد الرحمن بن علي الجوزي، "المنتظم في تاريخ الأمم والملوك" تحقيق: محمد عبد القادر =

إن هذه المحددات السابقة على المبئر تلزمه بالالتزام بها إذ لا يستطيع أن يحيد عن الوصف الذي خطه السابقون وهو على ذلك ملتزم بما ذكروه، كما أنه ملتزم ببيان ما وصلت إليه تلك المعالم التي اهتموا بها، وكأن الراوي يعلن استمرار سلسلة الوصف للعناصر المحددة المذكورة سلفا وفق من جاء قبله، أي أن الكتابة عن بناء المسجد النبوي وما يتمتع به من أبعاد عمرانية تعد بمثابة تقليد يلتزم به كل من يكتب عنه.

المصادر الرحلية:

حاولت رحلة ابن جبير استيفاء ما وضعته المصادر الرحلية، ويمكن القول إن الرحلات اختلطت مع الكتابات التاريخية فضلا عن تسميتها بهذا الاسم (أدب الرحلة)، لكنهم في مؤلفات عديدة أدخلوا هذا التصنيف تحت وسم (المسالك والممالك) وستحضر هذه التسمية في عدد من المؤلفات التي تعنى بالجغرافيا والمدن والأماكن، وهي تنبئ عن شكلين من الكتابة: الموضوعي، والذاتي، مما يجعلها تأسيسا مهما لأدب الرحلات التي نضجت فيما بعد.

وتأتي الكتابة عن الأماكن بالنسبة إلى المدينة المنورة باعتبارها موضع البحث في صورتين توضح معالم الكتابة الرحلية:

الصورة الأولى: الرحلات العامة:

عند تتبع النماذج التي كتبت قبل ابن جبير نجد أنها لم تتناول الجزيرة العربية ولا المدينة المنورة بل كانت ذات بعد عام وتتجه نحو أماكن بعيدة في الشرق والغرب، وتستوفي هذه الرحلات عدة شروط مهمة على النحو الآتي:

=

عطا، مصطفى عبد القادر عطا، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م) ٤: ٢٨٠، ٦: ٢٨٣.

١- إضفاء بعد تعظيمي على المكان: يكون المكان هنا مختلفا عن المكان المألوف الذي يعرفه قارئ الرحلة، ويحرص كاتب الرحلة أن يبالغ في بيان ذلك حتى يأخذ المكان انطباعا يغاير المتوقع، لقد ظهر هذا في نصوص كثيرة خاصة الرحلات التي أخذت منحى يميل إلى الذهاب إلى أماكن جديدة لم يعهدها المعاصرون للرحالة ففي رحلة سلام الترجمان ت٢٢٧هـ إلى سد يأجوج ومأجوج يظهر هذا الأمر: "وإذا باب حديد مصراعين معلقين عرض كل مصراع خمسون ذراعا في ارتفاع خمس وسبعين ذراعا في ثخن خمس أذرع وقائمتاهما في دوارة على قدر الدروند لا يدخل من الباب ولا من الجبل ريح كأنه خلق خلقة وعلى الباب قفل طوله سبع أذرع في غلظ باع في الاستدارة والقفل لا يحتضنه رجلان... واستدارة المفتاح أربعة أشبار معلق في سلسلة ملحومة بالباب طولها ثماني أذرع في استدارة أربعة أشبار والحلقة التي فيها السلسلة مثل حلقة المنجنيق"[١] ويستمر في وصف هذا الباب من أجل أن ينقل عظمته، ظهر مثل هذا في رحلة ابن موسى المنجم ت٢٢٧هـ للروم وأبي دلف ت٣٨٥هـ للصين والبيروني ت٤٤٠هـ للهند والإدريسي ت٥٦٠هـ في رحلاته.

٢-إيراد العجائب من البشر: يتعلق هذا العنصر بالبحث عن العجائب والتركيز عليها، لأن المألوف غير مرغوب في الرحلة، ولذا سيحضر معجم العجائب وما يدعو للاندهاش مما يقع عليه هذا الرجل عند بشر يختلفون عما هم عليه (أهل الرحالة)، لقد ظهر هذا في نصوص عديدة مثل رحلتي سليمان السيرافي ت٢٣٧هـ وابن وهب القرشي ت٢٥٦هـ اللتين أوردهما المسعودي في مروج الذهب، واللتين مهدتا لما سيفعله ابن فضلان ت٣٠٩هـ عند حديثه عن الترك والروس والصقالبة وعن رسمهم

(١) عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة، "المسالك والممالك"، (بيروت: دار صادر، ١٨٨٩م) ١٦٥-١٦٦.

ومأكلهم ومشربهم وملبسهم ورجالهم ونسائهم وحياتهم وطريقة دفنهم ولا يأتي من كل ذلك إلا بالعجائب التي لا تدخل تصور البيئة التي جاء منها ابن فضلان تلميحا: "وهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غائط ولا بول ولا يغتسلون من جنابة ولا يغسلون أيديهم من الطعام بل هم كالحمير الضالة"(١)، "وإذا مات الرئيس منهم قال أهله لجواريه وغلمانه: من منكم يموت معه، فيقول بعضهم: أنا، فإذا قال ذلك وجب عليه لا يستوي له أن يرجع أبدا، ولو أراد ذلك ما ترك وأكثر من يفعل هذا الجواري"(٢)، أو تصريحا: "ورأيت في بلده من العجائب ما لا أحصيها كثرة"(٣)، "فتعجبت منه"(٤).

في الشرطين السابقين يخترق الراوي الواقعي إلى العجائبي، ولذا نجدهم في كثير من المواضع يعلقون بعد سردهم كما فعل ابن خرداذبة معلقا على حديث سلام الترجمان: "حدثني سلام الترجمان بجملة هذا الخبر ثم أملاه علي من كتاب كان كتبه للواثق بالله"(٥) يظهر حذر ابن خرداذبة من أن ينسب إليه شيء هو بريء من صحته، وإنما يسنده إلى صاحبه مؤكدا ذلك مرتين إذ حصل له الخبر من خلال لقائه مع الترجمان شخصيا، ثم استدراكه بأن ثمة وثيقة رسمية وهي كتاب كتبه الترجمان للواثق بالله مما يحميه من تبعات الاتهام وعدم التصديق، يتكرر هذا مع ياقوت الحموي عند الحديث عن الأماكن ومن ضمنها مرويات أبي دلف مسعر بن مهلهل عن الشيز

(١) أحمد بن فضلان بن العباس، "رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة"، تحقيق: شاكر لعيبي، (ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر) ١٠٣.

(٢) ابن فضلان، "رحلة ابن فضلان"، ١٠٦.

(٣) المرجع السابق، ٨٢.

(٤) المرجع السابق، ٩٦.

(٥) ابن خرداذبة، "المسالك والممالك"، ١٧٠.

الأذربيجانية وما وجد عندهم من خوارق تحدث لهم وهم قوم مجوس لا تنطفئ لهم نار ولا يظهر لها رماد منذ مئات السنين: "هذا كله عن أبي دلف مسعر ابن المهلهل وأنا بريء من عهدة صحته فإنه كان يحكى عنه الشريد والكذب، وإنما نقلته على ما وجدته والله أعلم"(١).

٣- المقارنة: تظهر المقارنة المنافسة، التي تعني الإنقاص من المنافس في كثير من صورها، إن هذه العملية مهمة بالنسبة لقارئ الرحلة لأنها تخبر عن الآخر بما هو عليه من اختلاف بالنسبة للذات(٢)، منبعه العقيدة واللغة غالبا، أشار ابن فضلان إلى ذلك في مواضع منها موقف تعجبه من حرق الميت فكان الجواب عليه: "إنكم تعمدون إلى أحب الناس إليكم وأكرمهم عليكم فتطرحونه في التراب وتأكله الدواب والدود، ونحن نحرقه بالنار في لحظة فيدخل الجنة من وقته وساعته"(٣)، وقد حضرت المقارنة جلية عند البيروني ت٤٤٠هـ في رحلته للهند وفيها يبين وجه الاختلاف ما بين العرب والهند(٤)، لقد أشار البيروني إلى مسألة مهمة وهي أن الآخر سيظهر بصورة شيطانية، وهو مما تواطئت عليه الأمم: "يباينوننا في الرسوم والعادات حتى كادوا أن يخوفوا ولدانهم بنا وبزينا وهيآتنا وينسبوننا إلى الشيطنة وإياها إلى عكس الواجب وإن كانت هذه النسبة لنا مطلقة وفيما بيننا بل وبين الأمم بأسرهم

(١) ياقوت بن عبدالله الحموي، "معجم البلدان"، (ط٢، بيروت: دار صادر، ١٩٩٣م) ٣: ٣٨٤.

(٢) ينظر: القاضي وآخرون، "معجم السرديات"، ٣٤١.

(٣) ابن فضلان، "رحلة ابن فضلان"، ١٠٩.

(٤) ينظر للتفصيل: محمد بن أحمد البيروني، "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، (ط٢، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ) ١٧.

مشتركة"[١]، وهنا يجعل البيروني ما يقف عليه من أخبارهم وسننهم من عجائب هو ما يجعله مختلفا عنهم، تفضي هذه المقارنة في كثير من أحوالها إلى السخرية مما عند القوم وما هم عليه من سنن كما فعل البيروني[٢]، وهذا هو جوهر الرحلة القديمة إذ ينبغي أن تدور حول المبالغة في الأماكن والتعجب من عادات البشر والمقارنة معهم.

كان الراوي الشخصية عند ابن جبير ينطلق من المفاهيم الكبرى السابقة التي لا يكاد يخلو حديث عن الرحلة منها، والأبرز فيها هو إظهار ما للمكان من مزية وإجلال، أما البشر فبهم من العجائب ما يدفع في كثير من الأحوال إلى المقارنة بين ما عند الكاتب وما عندهم، وقد مر هذا في مبحث سابق.

لم يسلم الراوي من تتبع المنافسة بين المدن التي زارها والمدن التي ينتمي إليها، ذلك أن المدن التي يزورها تعتبر في نظره بين يدي آخر مختلف سياسيا عما هو عليه، ولذا انتقل حديثه عن المدينة باعتبار أهلها إلى المدينة باعتبار من يحكمها، لقد كانت المدن التي يحكمها الموحدون هي المدن الموعودة، والمناطق التي تخلو من حكم الموحدين يخشى على المرء زيارتها ولذا يقول: "وأكثر أهل هذه الجهات الحجازية وسواها فرق وشيع لا دين لهم، قد تفرقوا على مذاهب شتى، وهم يعتقدون في الحاج ما لا يعتقد في أهل الذمة، قد صيروهم من أعظم غلاتهم التي يستغلونها، ينتهبونهم انتهابا، ويسببون لاستجلاب ما بأيديهم استجلابا"[٣] ثم يقول: "فأحق بلاد الله بأن يطهرها السيف ويغسل أرجاسها وأدناسها بالدماء المسفوكة في سبيل الله هذه البلاد الحجازية لما هم عليه من حل عرى الإسلام واستحلال أموال الحاج ودمائهم. فمن

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) ينظر: البيروني، "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، ١٢٩.

(٣) ابن جبير، "رحلة ابن جبير"، ٦٨.

يعتقد من فقهاء أهل الأندلس إسقاط هذه الفريضة عنهم فاعتقاده صحيح لهذا السبب"[١] لكنها الحالة نفسها من الخطر التي يمر بها الحاج وهو يقطع الغرب إلى الشرق، غير أن ابن جبير مدفوع بنتيجة هي: "وليتحقق المتحقق ويعتقد الصحيح الاعتقاد إنه لا إسلام إلا ببلاد المغرب لأنهم على جادة واضحة لا بنيات لها. وما سوى ذلك مما بهذه الجهات المشرقية فأهواء وبدع وفرق ضالة وشيع إلا من عصم الله عز وجل من أهلها كما إنه لاعدل ولا حق ولا دين على وجهها إلا عند الموحدين أعزهم الله فهم آخر أئمة العدل في الزمان. وفي كل من سواهم من الملوك في هذا الأوان فعلى غير الطريقة: يعشرون تجار المسلمين كأنهم أهل ذمة لديهم ويستجلبون أموالهم بكل حيلة وسبب ويركبون طرائق من الظلم لم يسمع بمثلها"[٢] لقد أدى تعصبه إلى الموحدين إلى إيراد الأخبار التي لا تصح، وذلك في سبيل نصرة دعوة الموحدين كما ظهر هذا في كثير من تعبيراته إذ يبشر بالموحدين من خرافات الحدثان: "ولأهل مصر في شأن هذه القنطرة إنذار من الانذارات الحدثانية، يرون أن حدوثها إيذان باستيلاء الموحدين عليها وعلى الجهات الشرقية"[٣] وقوله في موضع آخر: "ومن عجيب ما شاهدناه في أمر الدعوة المؤمنية الموحدية وانتشار كلمتها بهذه البلاد واستشعار أهلها لملكتها أن أكثر أهلها منهم، بل الكل منهم، يرمزون بذلك رمزا خفيا، حتى يؤدى ذلك بهم إلى التصريح، وينسبون ذلك لآثار حدثانية وقعت بأيدي بعضهم، أنذرت بأشياء من الكوائن فعاينوها صحيحة"[٤].

(١) المرجع السابق، ٦٩.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) ابن جبير، "رحلة ابن جبير"، ٥٣.

(٤) ابن جبير، "رحلة ابن جبير"، ٧٠.

يؤكد ذلك موقف ابن جبير في خطابه الشعري، من التمييز بين المكان وأهل المكان فيقول مثلا[١]:

وإن السعادة مضمونة لمن حل طيبة أو زارها

وهي كذلك[٢]:

إذا بلغ المرء أرض الحجاز فقد نال أفضل ما أمله

وإن زار قبر نبي الهدى فقد أكمل الله ما أم له

وطغى على موقفه التخوف من حال أهل طيبة، ففي عدد من النماذج يمدح المنصور الموحدي ويجعله الرجل المصلح على رأس المئة سنة، وقد استنجد بصلاح الدين الأيوبي لإنقاذ المدينة المنورة بقصيدة[٣]:

وكيف تطيب في الدنيا حياة وطيبة لا يطيب بها مقام

بتربتها رسول الله ثاو وليس لأهلها منه احتشام

لو احترموه أو هابوه يوما لكان لصحبه معه احترام

وهل يرضى صلاتهم عليه إذا سبت صحابته الكرام

بأم المؤمنين قد استهانوا وللصديق والفاروق ذاموا

هذه القصيدة متقدمة عن زمن الرحلة، وهي قيلت موجهة لصلاح الدين كي

(١) منجد مصطفى بهجت، "ابن جبير الأندلسي شاعرا"، مجلة آداب الرافدين– العراق ٩، (أيلول ١٩٧٨م): ٤٩٩.

(٢) المرجع السابق، ٥١١.

(٣) المرجع السابق، ٥١٥.

يزيل العبيديين الذين حكموا المدينة المنورة، وقد استطاع أن يزيلها حوالي ٥٥٠ هـ، وقد جاءت رحلة ابن جبير بعدها سنة ٥٧٨هـ، إن هذا القلق منبعه العبيديون الذين غيروا معالم المدينة المنورة التي ألفها ابن جبير في متخيله، فما فعله العبيديون من عبث بالمسجد النبوي ذكره ابن جبير في قصيدته؛ فالروضة المقدسة أصبحت مرتعا للعابثين، والخطيب يرتقي منبرا لا يستحقه، والحكم فيها بالجور، واللعن شائع حتى إنه ليسمع في وقت الأذان، لقد بينت القصيدة كل تلك المخالفات التي لا يتصورها ابن جبير ولذا هرع إلى صلاح الدين لينقذ المدينة مما هي فيه، وهو ما يجعل الخطاب متصلا إلى الرحلة حتى ليظن إن المخاوف التي حملها ابن جبير امتدت إلى زمن رحلته حتى بعد خروج العبيديين منها.

الصورة الثانية: رحلات المدينة المنورة:

يجد الناظر إلى المؤلفات التي ألفها الرحالة، وكتبوا عن المدينة المنورة اهتمامهم بذكر طريق الوصول إليها، ثم جغرافيتها ونخيلها ومائها، وتسمياتها، وسكانها من الأوس والخزرج وغيرهم من القبائل، والمسجد النبوي وقباء وقبر النبي صلى الله عليهم وسلم، وبعض الآثار عن جمالها وجلالها وعظمتها ومكانتها[1]. سيكون من الملفت

(١) لمزيد من التفصيل ينظر: أحمد بن إسحاق اليعقوبي، "البلدان" (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)، ١٥١؛ ابن خرداذبة، "المسالك والممالك"، ١٢٨؛ إبراهيم بن محمد الاصطخري، "المسالك والممالك"، (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٤م)، ١٨؛ محمد بن حوقل البغدادي، "صورة الأرض" (بيروت: دار صادر، ١٩٨٣م) ١ : ٣٠؛ محمد بن أحمد المقدسي، "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، (ط٣، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩١م) ٨٠؛ عبد الله بن عبد العزيز البكري، "المسالك والممالك" (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م)، ١ : ٤٠٧؛ محمد بن محمد المعروف بالشريف الإدريسي، "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٩هـ) ١ : ١٤٣؛ أبو حامد الغرناطي، =

أن نرى أن هذه التجارب –العديدة والمتفاوتة تاريخيا– لا تذكر أهل المدينة وما يقع منهم بخلاف الرحلات الأخرى التي أفاضت الحديث عن الهنديين والترك والصينين والروس وغيرهم، وأن الراوي الذي سرد هو الراوي المبئر في جميع تلك الرحلات، أما عند ابن جبير فإن الراوي المبئر أخذ نصيبه من حكاية المدينة المنورة وفق نظرة السابقين من غير أن يحيد عنها، لكن الراوي الشخصية دخل في حكاية الرحلة كما دخل راوي ابن فضلان وسليمان السيرافي وابن المنجم، لقد حاول ابن جبير أن ينقل طبيعة الكتابة عن المدينة المنورة إلى طبيعة أخرى تشبه ما يكتب في الرحلات التي تبتعد عن المكون العربي والإسلامي فتظهر من شعوبها العجائب والغرائب. ولذا فإن محاولة ابن جبير هذه مهمة جدا في تشكيل صورة المدينة المنورة وفق التجربة الشخصية، وسنرى كيف أثرت فيمن جاء بعده تأثيرا كبيرا.

يشير كثير ممن كتب في الرحلة إلى مسألة مهمة، وهي أن هذا الفن يقوم على تتبع اللاحق للسابق وأنه لا يقوم إلا بالسؤال والتراكم حتى يكون وصفا يعتمد عليه للتحقق من المكان وقد حضر هذا التنويه في عدة مؤلفات، من ذلك ما قاله اليعقوبي: "إني عنيت في عنفوان شبابي، وعند احتيال سني، وحدة ذهني بعلم أخبار البلدان، ومسافة ما بين كل بلد وبلد، لأني سافرت حديث السن، واتصلت أسفاري، ودام تغربي، فكنت متى لقيت رجلا من تلك البلدان سألته عن وطنه ومصره... فلم أزل أكتب هذه الأخبار وأؤلف هذا الكتاب دهرا طويلا، وأضيف كل خبر إلى بلده، وكل ما أسمع به من ثقات أهل الأمصار إلى ما تقدمت عندي معرفته. وعلمت أنه لا

=

"تحفة الألباب ونخبة الإعجاب"، تحقيق: إسماعيل العربي، (ط١، المغرب: منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٩٩٣م)، ٧٦؛ الحموي، "معجم البلدان"، ٥ : ٨٢.

يحيط المخلوق بالغاية، ولا يبلغ البشر النهاية"(١). وهي تعتمد ذلك وضوحا على ما سبق ذكره فقد قال ابن خرداذبة: "سألت أفهمك الله... رسم إيضاح مسالك الارض وممالكها وصفتها وبعدها وقربها وعامرها وغامرها والمسير بين ذلك منها من مفاوزها وأقاصيها ورسوم طرقها وطقوسها على ما رسمه المتقدمون منها فوجدت بطلميوس قد أبان الحدود وأوضح الحجة في صفتها بلغة أعجمية فنقلتها عن لغته باللغة الصحيحة لتقف عليها"(٢). ولذا اهتم المقدسي ببيان أهم ما يمكن أن يكون مصدرا لهذه الحرفة: "اعلم أن جماعة من أهل العلم ومن الوزراء قد صنفوا في هذا الباب وإن كانت مختلة غير أن أكثرها بل كلها سماع لهم ونحن فلم يبق إقليم إلا وقد دخلناه، وأقل سبب إلا وقد عرفناه وما تركنا مع ذلك البحث والسؤال والنظر في الغيب فانتظم كتابنا هذا ثلاثة أقسام أحدها ما عايناه والثاني ما سمعناه من الثقات والثالث ما وجدناه في الكتب المصنفة في هذا الباب وفي غيره"(٣). ويذكر الحموي مجموعة من الكتب التي كتبت عن الأماكن ثم يقول: "وهذه الكتب المدونة في هذا الباب التي نقلت منها، ثم نقلت من دواوين العرب والمحدثين وتواريخ أهل الأدب والمحدثين، ومن أفواه الرواة، وتفاريق الكتب، وما شاهدته في أسفاري، وحصلته في تطوافي"(٤).

ولا تكاد تخلو مقدمة كتاب عن الأماكن إلا بذكر الكتب السابقة عليه، ومن هنا تكمن أهمية ما خلفه ابن جبير في الكتابات اللاحقة للرحلة، وبخاصة ازدواجية الراوي إذ يعيننا البحث فيها على تحديد علاقة خطاب الرحلة بغيره من الخطابات

(١) اليعقوبي، "البلدان"، ٩.
(٢) ابن خرداذبة، "المسالك والممالك"، ٣.
(٣) المقدسي، "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، ٤٣.
(٤) الحموي، "معجم البلدان"، ١: ١٢.

تأثرا وتأثيرا: "يتيح لنا هذا البحث الكشف عن تطور الأشكال الخطابية وتشكلها ... كما يتيح لنا التساؤل عن الأنماط النصية المولدة والمتولدة عن هذه التفاعلات النصية في زمان معين أو في تعاقب الأزمنة"(١)، وعند مطابقة ما سلكته الرحلات المدنية على رحلة ابن جبير يتحدد بدقة مدى ما يمكن أن تصل إليه الخطابات المتقدمة في التأثير على الخطابات اللاحقة، وبخاصة رحلة ابن جبير إذ "أجمع كل من كتب عن الرحلة على أن المتأخرين أكثروا من الرجوع إليها والاقتباس منها"(٢)، وتحديدا الرحلة الأشهر: رحلة ابن بطوطة(٣)، أظهرت رحلة ابن بطوطة ت٧٧٩هـ استجابة لما يقوله الراوي في رحلة ابن جبير، بل إنها تستدعيه بحذافيره وبجميع ما تتحمله تلك العبارات من معاني يهدف إليها بل يظهر الموقف الرحلي عند ابن بطوطة ذو بعدين يمثلهما الراوي المزدوج عند ابن جبير، فتتطابق المعلومات التي قدمها ابن بطوطة مع المعلومات التي قدمها ابن جبير عند المدينة المنورة، ليس في المعلومة فحسب، بل في ترتيبها وطريقة إيرادها، فيفتتح ابن بطوطة الحديث عن مسجد رسول الله بالعبارة الآتية: "المسجد المعظم مستطيل، تحفه من جهاته الأربع بلاطات دائرة به، ووسطه صحن مفروش بالرمل والحصى"(٤)، وهي ذاتها الواردة عند ابن جبير: "المسجد المبارك مستطيل، وتحفه من جهاته الأربع بلاطات مستديرة به، ووسطه كل صحن مفروش بالرمل والحصى"(٥)، ويقول ابن بطوطة: "وهي منورة بالرخام البديع

(١) يقطين، "السرد العربي مفاهيم وتجليات"، ٢٢٤.

(٢) نصار، "رحلة ابن جبير". ٢٤٥.

(٣) للاستزادة ينظر: فؤاد قنديل، "أدب الرحلة في التراث العربي". (ط٢، القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٢م)، ٣٨٩.

(٤) ابن بطوطة، "رحلة ابن بطوطة"، ١٢٩.

(٥) ابن جبير، "رحلة ابن جبير"، ١٤٠.

النحت الرائع النعت، قد علاها تضميخ المسك والطيب مع طول الأزمان، وفي الصفة القبلية منها مسمار فضة هو قبالة الوجه الكريم، وهنالك يقف الناس مستقبلين الوجه الكريم مستدبرين القبلة"(١)، وذكرها ابن جبير بهذا النعت: "وهي مؤزرة بالرخام البديع النحت الرائع النعت... وقد علاها تضميخ المسك والطيب بمقدار نصف شبر مسودا متشققا متراكما مع طول الأزمنة والأيام ... وفي الصفحة القبلية أمام وجه النبي صلى الله عليه وسلم مسمار فضة، هو أمام الوجه الكريم فيقف الناس أمامه للسلام .. فيقف المسلم مستدبر القبلة ومستقبل الوجه الكريم"(٢) يمكن بتتبع القراءتين استكشاف العديد من المواضع على هذا النحو بين الرحلتين، خاصة ما يتعلق بذكر المعالم الدينية والوصف الدقيق للمشاهدات هناك، لقد تناول ابن بطوطة موضوعات ابن جبير فكان حديثه عن المسجد النبوي، ومساحته وما يحيط به وبنيانه والروضة المقدسة والمنبر وخدام المسجد النبوي وبقيع الغرقد، وقبور الصحابة، وقباء، وهي ذات الموضوعات بترتيب مشابه لما أورده المبئر في رحلة ابن جبير، كما أن مدة بقائهم في المدينة متقاربة فقد قضى فيها ابن جبير خمسة أيام، وقضى ابن بطوطة فيها أربعة أيام. قد يتطابق الخطاب التاريخي والأدبي وقد لا يتطابقان، وهو أمر مهم ترتكز عليه الدراسة، غير أن النمط الذي اتبعه ابن جبير وتابعه فيه ابن بطوطة يعني أن خطاب الرحلة في كل الأحوال لاحق، وأن التاريخ سابق، مما يضع احتمالية ذكره في الرحلتين قبل أو أثناء أو بعد فعل الانتقال (الرحلة).

حين يبتعد الراوي المبئر عن سرد رحلة ابن بطوطة، يظهر الراوي الشخصية كما ظهرت عند ابن جبير، وهي تتعلق بذات الموضوعات عند ابن جبير:

(١) ابن بطوطة، "رحلة ابن بطوطة"، ١٢٩.

(٢) ابن جبير، "رحلة ابن جبير"، ١٤١.

– خدام المسجد النبوي: يظهر سدنة المسجد الشريف من الأحباش كما رآهم ابن جبير ويصفهم كما وصفهم: "وسدنته فتيان من الأحابيش وسواهم، وهم على هيئات حسان، وصور نظاف، وملابس ظراف، وكبيرهم يعرف بشيخ الخدام، وهو في هيئة الأمراء الكبار، ولهم المرتبات بديار مصر والشام، ويؤتى إليهم بها في كل سنة"(١) وهو مشابه للتعبير الذي وضعه ابن جبير عن سدنة المسجد النبوي.

– خطيب المسجد النبوي: جاء خطيب المسجد النبوي عند ابن جبير بصفات مرذولة كالطمع والنفاق وسرقة الأموال، تحضر هذه الصورة عن خطيب المسجد النبوي لدى ابن بطوطة بصورة مشابهة، حين يقول: "سراج الدين هذا أقام في خطة القضاء بالمدينة والخطابة بها نحو أربعين سنة، ثم إنه أراد الخروج بعد ذلك إلى مصر، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ثلاث مرات، في كل مرة ينهاه عن الخروج منها، وأخبره باقتراب أجله، فلم ينته عن ذلك وخرج، فمات بموضع يقال له: سويس، على مسيرة ثلاث من مصر، قبل أن يصل إليها، نعوذ بالله من سوء الخاتمة"(٢) يظهر هذا الخطيب بخاتمة سيئة لأنه طمع في الدينا وعصى النبي صلى الله عليه وسلم، إن الخطيبين عند ابن جبير وابن بطوطة ينبئان بفساد أصحاب هذا المنصب، ففي الموقف الذي ينبغي فيه أن يوجهوا الناس ويعظونهم فإنهم يتحلون برداء هم منه براء، وموقفهم في ذلك موقف نفاق ورياء ولذا لابد من التشكيك في كل ما يقولونه.

– المجاورون: يظهر المجاورون عند ابن بطوطة مثل الخدام، فهم أهل الخير والنفع، وهم عند ابن بطوطة من أهل المغرب والأندلس يقول ابن بطوطة: "أبا عبدالله

(١) ابن بطوطة، "رحلة ابن بطوطة"، ١٣٥.
(٢) المرجع السابق، ١٣٤.

الغرناطي كان خديما لشيخ يسمى عبدالحميد العجمي وكان الشيخ حسن الظن به يطمئن إليه بأهله ويتركه متى سافر بداره فسافر مرة وتركه على عادته بمنزله فعلقت به زوجة الشيخ عبد الحميد وراودته عن نفسه فقال إني أخاف الله... وصار من خدام المسجد الكرام ومؤذنا به، ورأس الطائفين"(١) وتظهر ملحوظات حول الزائرين والمجاورين من تلك الجهات: "وكان في ذلك العهد بمكة وزير غرناطة وكبيرها أبو القاسم محمد بن محمد بن الفقيه أبي الحسن سهل بن مالك الأزدي وكان يطوف كل أسبوع سبعين طوافا ولم يكن يطوف في وقت القائلة لشدة الحر وكان ابن مرزوق يطوف في شدة القائلة زيادة عليه. ومن المجاورين بالمدينة كرمها الله الشيخ الصالح العابد سعيد المراكشي الكفيف. ومنهم أبو مهدي بمكة عيسى بن حزرون المكناسي"(٢) ويذكر غيرهم مثل علي بن حجر الأموي الغرناطي وأبي العباس الفاسي. لقد صب ابن بطوطة اهتمامه على حال المغاربة المجاورين وما يلاقونه في حياتهم الجديدة، وهو نفس الأمر الذي ركز عليه ابن جبير في حديثه في رحلاته عما يواجهه الحجاج المغاربة ومن يحسن إليهم ومن يسيئ إليهم، وعن أحوالهم على امتداد طريق الحج: "وبين مصر والقاهرة المسجد الكبير المنسوب إلى أبي العباس أحمد بن طولون وهو من الجوامع العتيقة الأنيقة الصنعة الواسعة البنيان جعله السلطان مأوى للغرباء من المغاربة يسكنونه ويحلقون فيه وأجرى عليهم الأرزاق في كل شهر"(٣) وأن للمغاربة ذكرا حسنا في جميع الأنحاء ففي دمشق يستعملون للأعمال التي هي بحاجة إلى أمانة لا يستطيع أداءها سواهم: "وليس يؤتمن فيها كلها سوى المغاربة الغرباء لأنهم قد علا

(١) ابن بطوطة، "رحلة ابن بطوطة"، ١٣٥.
(٢) المرجع السابق، ١٣٦.
(٣) ابن جبير، "رحلة ابن جبير"، ٥٢.

لهم بهذا البلد صيت في الأمانة وطار لهم فيها ذكر وأهلها لا يأتمنون البلديين وهذا من الطاف الله تعالى بالغرباء"[١]. تضع تعبيرات ابن جبير المجد والشرف لمن ارتبط بخدمة الحجيج المغاربة كما يقول عن صنيع صلاح الدين: "ومن أشرف هذه المقاصد أيضا أن السلطان عين لأبناء السبيل من المغاربة خبزتين لكل إنسان في كل يوم بالغا ما بلغوا"[٢] وكذلك نور الدين:" ومن مناقب نور الدين رحمه الله تعالى إنه كان عين للمغاربة الغرباء المتلزمين زاوية المالكية بالمسجد الجامع المبارك أوقافا كثيرة منها طاحوتنان وسبعة بساتين وأرض بيضاء وحمام ودكانان بالعطارين"[٣].

لقد تركت رحلة ابن جبير أثرها في رحلة ابن بطوطة، بل أخذت طابعها عن المدينة المنورة، فكانت مصدرا لها لمواقفها نحو المسجد النبوي والمشاهد والأماكن ذات البعد التاريخي، كما وجهتها في توصيف الأفراد والجماعات من أهل المدينة، وفهم العلاقة بين الرحلة وخدمة أبناء الجماعة المغاربة، وأحوال خدام المسجد النبوي وسدنته ومجاوروه.

إن الرحلتين لا تكتفيان بالتاريخ وإنما تنتقلان منه إلى الحاضر لروايته في حيزه، وهنا تصبح الرحلة تاريخا ضمن وجهة نظر شخصية، وحينها تخفي الرحلة أبعادا سياقية لغوية وغير لغوية تحول الرحلة من أدبيتها وتقترب من اعتبارها شهادة تاريخية، في وقت يفترض لها أن تكون غير ذلك، حيث لا تتأثر الرؤى الذاتية بسلطة الخطاب المتقدم.

(١) المرجع السابق، ٢٥٠.
(٢) المرجع السابق، ٤٦.
(٣) المرجع السابق، ١٩٩.

الخاتمة

عالج البحث أثر ازدواج الراوي في وصف المدينة المنورة في رحلة ابن جبير، وانتهى إلى عدد من النتائج:

١. اشتمال موقف ابن جبير تجاه المدينة المنورة على أنموذجين: الأول استرجاعي، والآخر وصفي، يعبران عن ماضي المدينة وحاضرها في زمن الاسترجاع.

٢. أوجد الأنموذجان راويين: المبئر والشخصية، ومن خلالهما يتغاير أسلوب معاينة المكان ومساحة الحركة فيه، وهما يتكاملان ويعبران عن المؤلف (ابن جبير) ويتقابلان في أن الأول مبئر موضوعي ذو مرجعية واحدة عمادها الأثر الروحي، وتتخذ الموضوعية مسلكا يتكئ على الخبر والمرويات والسند، أما الآخر فشخصي ذاتي بمرجعيات متعددة تعتمد الجانب الاجتماعي فهي متحيزة للذات متكئة على التجربة والمشاهدة.

٣. حضور المفارقة في المواقف بين الراويين ومن وجهة كل منهما يختلفان في: ما يوصف في المكان، وبماذا يوصف وتقنية وصفه، فكان للمبئر معالم المدينة المنورة وأبعادها التاريخية، وتوصف بالتعظيم عن طريق المعلومة المباشرة، وللشخصية الأشخاص في المدينة المنورة، ويوصفون بغير ما جاء في المكان، عن طريق السرد، وقد جاءت المفارقة منطقة للتبديل بين الراويين والمرواحة بينهما.

٤. تأثر راوي ابن جبير المبئر بالخطابات التاريخية والرحلية التي كتبت عن المدينة المنورة، وانخراط ما كتبه عن المدينة في هذا السلك وعدم خروجها على ما ذكر.

٥. أثر الراوي الشخصية عند ابن جبير فيمن جاء بعده، وكتب في تجربة العيش

والمشاهدة، وبخاصة عند الحديث عن ساكني المدينة المنورة فانطبعت بطابعها كما حدث في أشهر كتب الرحلة: رحلة ابن بطوطة.

وفي الختام، يوصي البحث بدراسة تجمع نصوص أدب الرحلة تحت مبدأ ازدواج الراوي، والنصوص الإثنوغرافية المتزامنة للخروج بنتائج مفيدة بين الأدب والإثنوغرافيا. ودراسة مدونات أدب الرحلة المكتوبة عن الجزيرة العربية في تسلسلها التاريخي تأثرا وتأثيرا، وتتبع تفاعلاتها الكاشفة عن ازدواجية أبنية لغوية وأدبية وحضارية وثقافية وعرقية.

المصادر والمراجع

ابن الأبار، محمد بن عبدالله. "التكملة لكتاب الصلة"، تحقيق: عبدالسلام الهراس، (لبنان: دار الفكر للطباعة، ١٩٩٥م).

ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله. "الإحاطة في أخبار غرناطة". تحقيق: محمد عبدالله عنان، (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٤م).

ابن بطوطة، محمد بن عبدالله. "رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". تحقيق: محمد عبدالمنعم العريان، (ط١، بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٨٧م).

ابن جبير، محمد بن أحمد. "رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك"، تحقيق: رشيد العفاقي، (ط١، الرباط: مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، ٢٠١٤م).

ابن خرداذبه، عبيدالله بن عبدالله. "المسالك والممالك"، (بيروت: دار صادر، ١٨٨٩م).

ابن رسته، أحمد بن عمر. "الأعلاق النفيسة"، (ليدن: بريل، ١٨٩١م).

ابن عبدربه، أحمد بن محمد. "العقد الفريد"، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ).

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. "المعارف"، تحقيق: ثروت عكاشة، (ط٢، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م).

الإدريسي، محمد بن محمد. "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٩هـ).

الاصطخري، إبراهيم بن محمد. "المسالك والممالك"، (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٤م).

البغدادي، أحمد بن فضلان. "رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة"، تحقيق: شاكر لعيبي، (ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر).

البغدادي، محمد بن حوقل. "صورة الأرض" (بيروت: دار صادر، ١٩٨٣م).

البكري، عبد الله بن عبد العزيز. "المسالك والممالك" (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م).

البلاذري، أحمد بن يحيى. "فتوح البلدان"، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٨م).

بهجت، منجد مصطفى. "ابن جبير الأندلسي شاعرا"، مجلة آداب الرافدين – العراق ٩، (أيلول ١٩٧٨م): ٤٥٩-٥٢٦.

البيروني، محمد بن أحمد. "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، (ط٢، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ).

الجوزي، عبدالرحمن بن علي. "المنتظم في تاريخ الأمم والملوك" تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م).

الحموي، ياقوت بن عبدالله. "معجم البلدان"، (ط٢، بيروت: دار صادر، ١٩٩٣م).

الرقب، شفيق محمد. "الوصف في رحلة ابن جبير: دراسة تحليلية في ضوء تقنيات فليب هامون". مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية ٣، (٢٠٢٤م): ٤١٤-٤٢٨.

الزهري، محمد بن سعد. "الطبقات الكبرى"، تحقيق: علي محمد عمر، (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م).

زيتوني، لطيف. "السيميولوجيا وأدب الرحلات". الكويت: مجلة عالم الفكر ٣، (١٩٩٦م): ٢٥١ - ٢٧٦.

صلاح الدين، بنان محمد. "أدب الرحلات من خلال مظاهر من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة ١٦٦١ – ١٧١٠م". مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ١،

(٢٠١٩م): ١ – ٤٢.

الطبري، محمد بن جرير. "تاريخ الرسل والملوك"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧م).

العمامي، محمد نجيب. "الوصف في النص السردي بين النظرية والإجراء". (ط ١، تونس: دار محمد علي، ٢٠١٠م).

الغرناطي، عبدالرحيم القيسي. "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب"، تحقيق: إسماعيل العربي، (ط١، المغرب: منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٩٩٣م).

فهيم، حسين محمد. "أدب الرحلات". (الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٩م).

القاضي، محمد، وآخرون. "معجم السرديات". (ط ١، تونس: دار محمد علي للنشر، ٢٠١٠م).

قنديل، فؤاد. "أدب الرحلة في التراث العربي". (ط٢، القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٢م).

المراكشي، محمد بن محمد المراكشي. "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة". تحقيق: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف (ط١، تونس: دار الغرب الإسلامي، ٢٠١٢م).

المقدسي، المطهر بن طاهر. "البدء والتاريخ"، (شالون: مطبعة برطرند، ١٩٢٧م).

المقدسي، محمد بن أحمد. "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، (ط٣، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩١م).

المقري، أحمد بن محمد. "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب". تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م).

المكناسي، أحمد ابن القاضي. "جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام في مدينة

فاس"، (الرباط: دار المنصور للنشر والتوزيع، ١٩٧٣م).
نصار، حسين. "رحلة ابن جبير". (المغرب: دار الرشاد الحديثة، سلسلة تراث الإنسانية، د.ت).
اليعقوبي، أحمد بن إسحاق. "البلدان" (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).
يقطين، سعيد. "السرد العربي مفاهيم وتجليات". (ط ١، القاهرة: مؤسسة رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م).

Bibliography

Ibn al-Abbār, Muḥammad ibn ʿAbdillāh. "al-Takmilah li-Kitāb al-Ṣilah", investigated by: ʻAbd al-Salām al-Harrās, (Lebanon: Dār al-Fikr, 1995).

Ibn al-Khaṭīb, Lisān al-Dīn Muḥammad ibn ʿAbdillāh. "al-Iḥāṭah fī Akhbār Gharnāṭah". investigated by: Muḥammad ʿAbdullāh ʻInān, (1st edition, Cairo: Maktabat al-Khānjī, 1974).

Ibn Baṭṭūṭah, Muḥammad ibn ʿAbdillāh. "Riḥlat Ibn Baṭṭūṭah Tuḥfat al-Nuẓẓār fī Gharā'ib al-Amṣār wa-ʻAjā'ib al-Asfār". Investigated by: Muḥammad ʻAbd al-Munʻim al-ʻIryān, (1st edition, Beirut: Dār Iḥyā' al-ʻUlūm, 1987).

Ibn Jubair, Muḥammad ibn Aḥmad. "Risālat Iʻtibār al-Nāsik fī Dhikr al-Āthār al-Karīmah wa-al-Manāsik", investigated by: Rashīd al-ʻAffāqī, (1st edition, Rabat: Center for Studies, Research and Heritage Revival, 2014).

Ibn Khardādhbah, ʻUbayd Allāh ibn ʻAbdillāh. "al-Masālik wa-al-Mamālik", (Beirut: Dār Ṣādir, 1889).

Ibn Rustah, Aḥmad ibn ʻUmar. "al-Aʻlāq al-Nafīsah", (Leiden: Brill, 1891).

Ibn ʻAbd Rabih, Aḥmad ibn Muḥammad. "al-ʻIqd al-Farīd", (1st edition, Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1404 AH).

Ibn Qutaibah, ʻAbdullāh ibn Muslim. "al-Maʻārif", investigated by: Tharwat ʻUkāshah, (2nd edition, Cairo: al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-ʻĀmmah lil-Kitāb, 1992).

al-Idrīsī, Muḥammad ibn Muḥammad. "Nuzhat al-Mushtāq fī Ikhtirāq al-Āfāq", (1st edition, Beirut: ʻĀlam al-Kutub, 1409 AH).

Al-Iṣṭakhry, Ibrāhīm ibn Muḥammad. "al-Masālik wa-al-Mamālik", (Beirut: Dār Ṣādir, 2004).

al-Baghdādī, Aḥmad ibn Faḍlān. "Riḥlat Ibn Faḍlān ilá Bilād al-Turk wa-al-Rūs wa-al-Ṣaqālibah", investigated by: Shākir Luʻaibī, (1st edition, Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing).

al-Baghdādī, Muḥammad ibn Ḥawqal. "Ṣūrat al-Arḍ" (Beirut: Dār Ṣādir, 1983).

al-Bakrī, ʻAbdullāh ibn ʻAbd al-ʻAzīz. "al-Masālik wa-al-Mamālik" (Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1992).

Al-Balādhury, Aḥmad ibn Yaḥyá. "Fattūḥ al-Buldān", (Beirut: Dār wa-Maktabat al-Hilāl, 1998).

Bahjat, Munjid Muṣṭafá. "Ibn Jubair al-Andalusī Shāʻiran", *Journal of Rafidain Literature* - Iraq 9, (September 1978): 459-526.

al-Bairūnī, Muḥammad ibn Aḥmad. "Taḥqīq mā lil-Ḥind min Maqūlat Maqbūlah fī al-‘Aql aw Mardhūlah", (2nd edition, Beirut: ‘Ālam al-Kutub, 1403 AH).

al-Jawzī, ‘Abd al-Raḥmān ibn ‘Alī. "al-Muntaẓim fī Tārīkh al-Umam wa-al-Mulūk", investigated by: Muḥammad ‘Abd al-Qādir ‘Aṭā, Muṣṭafá ‘Abd al-Qādir ‘Aṭā, (1st edition, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1992).

al-Ḥamawī, Yāqūt ibn ʿAbdillāh. "Mu‘jam al-Buldān", (2nd edition, Beirut: Dār Ṣādir, 1993).

al-Raqab, Shafīq Muḥammad. "al-Waṣf fī Riḥlat Ibn Jubair: Dirāsah Taḥlīlīyah fī Daw’ Tiqniyāt Fīlīb hāmwn". *Journal of Dirāsāt: al-‘Ulūm al-Insānīyah wa-al-Ijtimā‘īyah* 3, (2024) : 414-428.

al-Zuhrī, Muḥammad ibn Sa‘d. "al-Ṭabaqāt al-Kubrá", investigated by: ‘Alī Muḥammad ‘Umar, (1st edition, Cairo: Maktabat al-Khānjī, 2001).

Zaytūnī, Laṭīf. "al-Sīmiyūlūjīyā wa-adab al-riḥlāt". al-Kuwayt : *Journal of Alam al-Fikr* 3, (1996) : 251-276.

Ṣalāḥ al-Dīn, Bannān Muḥammad. "Adab al-Riḥlāt min Khilāl Maẓāhir min al-Ḥayāh al-Ijtimā‘īyah fī al-Madīnah al-Munawwarah 1661 – 1710m". *Journal of Markaz Bābil lil-Dirāsāt al-Insānīyah* 1, (2019) : 1 – 42.

al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. "Tārīkh al-Rusul wa-al-Mulūk", investigated by: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, (2nd edition, Cairo: Dār al-Ma‘ārif, 1967).

al-‘Amāmī, Muḥammad Najīb. "al-waṣf fī al-naṣṣ al-sardī bayna al-naẓarīyah wa-al-ijrā’". (1st edition, Tunisia: Dār Muḥammad ‘Alī, 2010).

al-Gharnāṭī, ‘Abd al-Raḥīm al-Qaisī. "Tuḥfat al-al-Bāb wa-Nukhbah al-I‘jāb", investigated by: Ismā‘īl al-‘Arabī, (1st edition, Morocco: publications of Dār al-Āfāq al-Jadīdah, 1993).

Fahīm, Ḥusain Muḥammad. "Adab al-Riḥlāt". (Kuwait: ‘Ālam al-Ma‘rifah, al-Majlis al-Waṭanī lil-Thaqāfah wa-al-Funūn wa-al-Ādāb, 1989).

al-Qāḍī, Muḥammad, wa-ākharūn. "Mu‘jam al-Sardīyāt". (1st edition, Tūnis : Dār Muḥammad ‘Alī lil-Nashr, 2010).

Qandīl, Fu’ād. "Adab al-Riḥlah fī al-Turāth al-‘Arabī". (2nd edition, Cairo: Maktabat al-Dār al-‘Arabīyah lil-Kitāb, 2002).

al-Marrākishī, Muḥammad ibn Muḥammad al-Marrākishī. "al-Dhail wa-al-Takmilah li-Kitābai al-Mawṣoul wa-al-Ṣilah". Investigated

by: Iḥsān ʻAbbās, Muḥammad ibn Sharīfah, Bashshār ʻAwwād Maʻrūf. (1st edition, Tunis: Dār al-Gharb al-Islāmī, 2012).
al-Maqdisī, al-Muṭahhar ibn Ṭāhir. "al-Bad'u wa-al-Tārīkh", (Chalons: Bertrand Press, 1927).
al-Maqdisī, Muḥammad ibn Aḥmad. "Aḥsan al-Taqāsīm fī Maʻrifat al-Aqālīm", (3rd edition, Cairo: Madbuli Bookstore, 1991).
al-Maqarī, Aḥmad ibn Muḥammad. "Nafḥ al-Ṭīb min Ghuṣn al-Andalus al-Raṭīb". Investigated by: Iḥsān ʻAbbās, (Beirut: Dār Ṣādir, 1968).
al-Miknāsī, Aḥmad Ibn al-Qāḍī. "Jadhwat al-Iqtibās fī Dhikr mann Ḥalla min al-Aʻlām fī Madīnat Fās", (Rabat: Dār al-Manṣūr, 1973).
Naṣṣār, Ḥusain. "Riḥlat Ibn Jubair". (Morocco: Dār al-Rashād al-ḥadīthah, Silsilat Turāth al-Insānīyah, D. t).
al-Yaʻqūbī, Aḥmad ibn Isḥāq. "al-Buldān". (1st edition, Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1422 AH).
Yaqṭīn, Saʻīd. "al-Sarrd al-ʻArabī Mafāhīm wa-Tajalliyāt". (1st edition, Cairo: Mu'assasat Ru'yah, 2006).

١٣٨
١٩٦

The Islamic University Journal of Arabic Language and Literature

Issue : 15

Jan - Mar 2025

part 1